



الفصل الثالث

العناصر الشعبية واتهاماتها

للعرب ورد الجاحظ عليها



obeikandi.com

ونقصد بالعناصر الشعبوية هنا الأجناس التي كانت تتعايش داخل الأمة الإسلامية في العصر العباسي ، وكانت تبدو من أشخاص منهم ميول شعبية في العصبية للجنس الذي ينتسبون إليه ، وتقليل من شأن الأمة التي انخرطوا تحت لوائها وهي الأمة العربية .

وبقدر تنوع الأجناس وتعددتها داخل المجتمع الإسلامي في العصر العباسي تنوعت وتعددت ألوان الشعبوية؛ ولهذا فقد كان الشعبويون أصنافاً مختلفة منهم زنج ومنهم فرس ومنهم نبط، وقد صبغت شعبية كل صنف من هؤلاء بصبغة خاصة^(١).

وقد تناول الجاحظ هذه الألوان الشعبية المختلفة بالدراسة في مؤلفاته، ووضح أهم المعالم الظاهرة فيها، وطريقة الانحراف الشعبي والاتهامات التي وجهوها للعرب والإسلام ، والخصال التي افتخروا بها على سائر الأمم.

شعبوية السودان

والجاحظ يقصد بالسودان أساساً الزنج ومن إليهم من أهل النوبة والحبشة، وقد عقد كتابه فخر السودان على البيضان من أجلهم. أما أهل الهند والسند وسكان جزائر البحر الجنوبي، كسرنديب وزابج، ثم بعض القبائل العربية التي غلب السواد عليها كبنى سليم بن منصور ومن إليهم من أهل الحرة، فيطلق عليهم أيضاً السودان لمشاركة الأولين في سواد البشرة^(٢).

وبتتبع كتاب الجاحظ في فخر السودان على البيضان يتضح بجلاء أن الجاحظ قصد إظهار جوانب شعبية الزنج ومن إليهم من أهل النوبة والحبشة، وأما استشهاده على السودان ببعض الأمم الأخرى كالسند وبعض قبائل العرب على أنها من السودان، فليس ذلك إلا من الحجج التي يستند إليها

سودان الحبش والزنج للدلالة على انتشار اللون الأسود فى أغلب سكان الأرض، وأن السواد ليس قاصرًا فيهم.

كما يؤكد أن قصد الجاحظ فى كتابه هذا إظهار عصبية سودان الحبش والزنج دون غيرهم من الأمم، ما سنراه عند تحليلنا لكتابه فخر السودان على البيضان من تحامل الشعراء ذوى الأصول الحبشية على كل العرب دون استثناء، وتفاخرهم بأصولهم الحبشية، وتعبيرهم كل العرب بما كان لملوكهم معهم فى الجاهلية من حروب ومواقف رأوا أنها تدل على قوتهم وعزتهم على العرب وقتذاك.

ولا شك أن الدافع الأقوى لتأليف الجاحظ كتابه فخر السودان على البيضان هو ما كان يراه للزنج من الخطر فى الحياة الاجتماعية العباسية^(٣)، وقد أعقب وفاته بقليل نشوب ثورتهم التى دمرت الكثير من البلاد وهلك فيها عدد كبير من العباد^(٤).

على أنه يمكن أن يكون من أسباب تأليف الجاحظ لكتاب يتحدث فيه باسم الحبش والزنج ، ويعدد فيه مآثرهم - رغبة الجاحظ فى تنبيه مجتمعه لما لهؤلاء القوم من صفات عالية ومزايا سامية شأنهم شأن الأجناس الأخرى التى يتكون منها مجتمعه والمشهود لها بالكفاءة والرفعة، وبهذا ينصرف عن الناس شعور الاحتقار الذى يجده كثير منهم فى النظر لهؤلاء القوم ، وبهذا يصبح كتاب الجاحظ عن فخر السودان على البيضان خطوة فى محاولة دمج عناصر الأمة بعضها ببعض شأن رسالته فى مناقب الترك، من خلال ذكر مزايا كل أمة، وإشعار الأمم كلها التى يتكون منها المجتمع الإسلامى بما فيها الزنج - أنهم شرفاء ولهم قدر ومكانة، ومن ثم يجب اتحادهم وصهر بعضهم ببعض، يقول فى ذلك الدكتور محمد توفيق حسين: "الجاحظ إنما أكد لهذه الأجيال التى تكاد لا تحصى من أبناء البشر السود كرامتهم الإنسانية بنشر شىء من مناقبهم وفضائلهم .

وكل ما عدا هذا فى هذا الكتاب الصغير، قليل هين بالقياس إلى هذا الهدف الإنسانى الكريم^(٥).

كما يردد الدكتور على أبو ملحـم ما ذكره الدكتور محمد توفيق حسين نفسه فى أسباب تأليف الجاحظ مثل هذه الكتب عن أجناس الأمة الإسلامية فى عصره ، وذلك فى قوله: إن كتاب فخر السودان على البيضـان "ينطوى مع كتاب مناقب الترك فى الغاية التى يرمى إليها الجاحظ وهى التسوية بين العرب وسائر الشعوب التى تشتمل عليها الدولة العباسية والتقريب بينها واستئصال الأحقاد من قلوب أبنائها، لتستطيع العيش بونام وسلام. وهذه هى القاعدة التى تقوم عليها سياسة بنى العباس التى يؤيدها الجاحظ"^(٦).

وإذا كنت أتفق مع مضمون ما يقوله الدكتور محمد توفيق حسين والدكتور على أبو ملحـم حول أهداف الجاحظ من كتبه فى أجناس الأمة الإسلامية - إلا أننى أرى أن حرص الجاحظ على إيضاح وجهه نظره فى العمل على جمع كلمة الأمة ووحدة أبناء عناصرها المختلفة كان أشد وأقوى فى بعض كتبه ورسائله كرسالته فى مناقب الترك عنه فى كتابه فخر السودان على البيضـان؛ وذلك لأن الجاحظ لم يذكر فى رسالته مناقب الترك عند حديثه عن فضائل الأجناس المختلفة التى توجد فى مجتمعه ويتكون منها الجيش - أى عبارات تدل على انتقاص جنس لآخر، أو نبيل عنصر من عنصر آخر إلا القليل، وتأتى الرسالة فى مجملها فيها إشادة بكل أجناس الأمة بغرض العمل على ألقتها ووحدها^(٧).

أما الأمر فى كتاب فخر السودان على البيضـان فلم يتوقف على ذكر الجاحظ فيه لمزايا الزنج ومآثرهم، وإنما ذكر أيضاً فيه على لسانهم جوانب من هجومهم على العرب، ومقارناتهم بين ما انتقصوه على العرب بما يرونه عندهم من فضائل وأمجاد، ذهاباً مع الاتجاه الشعبى الفارسى الذى كان طاغياً على سائر الشعوبيات فى العصر العباسى الأول.

ولعل عدم عرض الجاحظ فى رسالته مناقب الترك أى ذكر لانتقادات بعض أجناس الأمة على بعضها الآخر - إلا القليل - يعود إلى الظرف السياسى الذى كتب الجاحظ فيه هذه الرسالة، فقد طلب منه الفتح بن خاقان كتابتها كما يفهم من مقدمتها تهدأة للشغب الناشئ بين أجناس الجيش والترك خاصة لكونهم العنصر الجديد الذى زاد عدده فى الجيش، وبدأ يصبح له كيان كبير فى الدولة على حساب المكانة التى كان يتبوأها أبناء الأجناس الأخرى كالعرب والفرس خاصة.

ولكن كتاب فخر السودان ترك الجاحظ فيه نفسه على طريقته فى عرض مفاخرات الأجناس وهجومهما على غيرها؛ لأن الظرف السياسى وقتها لم يكن بخطورة الأحداث نفسها التى صاحبت تأليف الجاحظ رسالته فى مناقب الترك ممثله فى الاضطرابات التى حدثت بين صفوف الجيش وخشى من تصاعدها وتزايدها، كما أن ثورة الزنج لم تكن قد أعلنت عن نفسها بعد، وكل ما فى الأمر أن الجاحظ يرصد نشاط هذه الجماعة وما أصبح لها من الخطر، وينبه المجتمع إلى ضرورة إدراك هذا الأمر، ثم إنه ليس مما يضر أن يذكر الجاحظ ما عند أبناء هذه الجماعة من ميول شعبية وأبعاد هذه الميول وحيثياتها.

ثم إننا لا نستبعد أيضاً أن يكون من ضمن ما دفع الجاحظ لكتابة كتاب فخر السودان على البيضان إلى جانب العوامل السياسية التى ذكرناها - دوافع أخرى شخصية تتركز فى إشادة الجاحظ بمن ترجع أصوله إليهم، إن صح أن الجاحظ كان من أصول حبشية على حد زعم بعض الباحثين^(٨).

وتبدو مظاهر الشعبية الزنجية فى هذا الكتاب من خلال عرض الجاحظ بعض القصائد التى كتبها شعراء من أصول زنجية فى العصر الأموى يفخرون فيها على العرب بأمجادهم، ويُعرّضون بما أصاب العرب من هزائم من قبلهم فى العصر الجاهلى.

ومن هؤلاء الشعراء الزنوج الحيقطان الذى يقول الجاحظ عنه:
"وأما الحيقطان فقال قصيدة تحتج بها اليمانية على قریش ومضر، ويحتج بها
العجم والحشب على العرب، وكان جریر رآه يوم عيد فى قميص أبيض
وهو أسود فقال:

كأنه لما بدا للناس ... (*) حمار لف فى قرطاس
فلما سمع بذلك الحيقطان وكان باليمامة، دخل إلى منزله فقال هذا
الشعر" (٩).

ثم يأخذ الجاحظ فى عرض أبيات الحيقطان فى فخره بنفسه وقومه
الحشب ، ومن هذه الأبيات قوله :
لئن كنت جعد الرأس والجلد فاحم فإنى لسبط الكف والعرض أزهر
وإن سواد اللون ليس بضائرى إذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر (١٠)
وإلى هنا يبدو الأمر كأنه هجاء شخصي بين جرير والحيقطان ،
ومن حق الحيقطان أن يدافع عن نفسه أمام استصغار جرير شأنه. وأما الشئ
الذى انساق إليه الحيقطان ونؤاخذه عليه، فهو تهجمه على العرب وهجاؤه
لهم، وفخره بالنجاشي الذى غزاهم وانخذلوا عنه، فتركوا مكة حين دخلها
راغباً فى هدم الكعبة، وقد صده الله عنها، أما أهلها فقد كانوا مستسلمين
لمصيرهم أمام جيش أبرهة الكبير. يقول فى ذلك الحيقطان:

فإن كنت تبغى الفخر فى غير كنهه فرهط النجاشي منك فى الناس أفخر
غزاكم أبو يكسوم فى أم داركم وأنتم كقبض الرمل أو هو أكثر
وأنتم كطير الماء لما هوى له ببلقعة ، حجن المخالب أكر
فلو كان غير الله رام دفاعه علمت وذو التجريب بالناس أخبر (١١)

(*) كلمة أسقطناها.

وتدهشنا تلك الجرأة من الحيقطان فى فخره بقومه الحبش، وتصعيد هجومه على العرب، ونحن مازلنا فى العصر الأموي الذى شاع عنه بين كثير من الباحثين^(١٢) أن صوت الشعوبية فيه كان خافتاً بسبب أن الدولة الأموية كانت بالمرصاد لكل العناصر الأخرى - غير العربية - التى تحاول أن تظهر شيئاً من مكانتها.

ولعل ما يعرضه الجاحظ فى كتابه فخر السودان على البيضان من قصائد شعرية للحيقطان وأمثاله من الشعراء الزنوج فى العصر الأموي يجعلنا لا نتفق - إلى حد ما - مع هذه الأحكام عن خفوت صوت الموالى فى العصر الأموي ، وأن قبضة الدولة الأموية كانت مانعة من انفجار أى تيار شعوبى فيها.

فها هو ذا الحيقطان قد تجاوز كل الحدود فى تهجمه على العرب، ونرى فى باقى أبياته وأبيات غيره من شعراء الزنج، وشرح الجاحظ لها إلى أى مدى كانت الشعوبية الحبشية نشطة فى ذلك العصر، فهذا الشاعر وأمثاله يعبرون عما يداخل الزنج والحبش من إحساس بالفخر، ويدل شعرهم على ما يتناقله الحبش والزنج من موازنات بين الأمة التى ينتمون إليها بالنسب وبين الأمة التى ينتمون إليها سياسياً.

كما نجد فى جرأة الشعراء السودان ذوى الأصول الحبشية فى الاعتزاز بنسبهم والتهجم على العرب ما يدل على أن الشعوبية الزنجية كانت أسبق فى ظهور معالمها من سائر الشعوبيات الأخرى كالشعوبية الفارسية والشعوبية النبطية.

وأسباب هذا عندي أن عدداً كبيراً من السودان الحبش قد استقر بين العرب منذ العصر الجاهلى نتيجة جلبهم ضمن الجيوش التى غزت اليمن، و حاولت غزو الكعبة وهدمها، وقد سمي هؤلاء الأبناء .

وقد تعلم هؤلاء الأبناء اللغة العربية، ونشأ أبناؤهم فى البيئة العربية، واكتسبوا اللغة العربية ومهارة التعبير بها، وكان منهم -فى العصر الأموي- شعراء كالحقطان، لم يجدوا صعوبة فى قول الشعر فى ذكر فخرهم وتهجمهم على العرب .

أما الفرس، فقد كانوا - بعد فتح بلادهم خلال عصر صدر الإسلام والعصر الأموي - فى حاجة إلى مزيد من الوقت حتى يمهروا فى العربية، وينشأ أجيال منهم يتقنونها ويكتبون فيها شعراً يعبر عن اعتزازهم بأمتهم الفارسية التى ينتمون إليها، ويظهرون ما بقلوبهم من أحقاد على العرب.

إلى جانب أن صدمة الفتوحات وقوة الفاتحين قد ألجمت الفرس - وهم أمة عريقة - عن إخراج ما بداخلها من نفثات شعوبية حتى كان لهم ما أرادوا فى العصر العباسى حين ظهر من بينهم شعراء يتقنون العربية، وسمح لهم باحتياز المناصب الكبيرة فى الدولة والتى تمكنهم من رعاية الشعراء والأدباء ذوى الميول الشعبوية الفارسية.

والشيء الآخر الذى يلفت الانتباه فى كتاب فخر السودان على البيضان أن الجاحظ يشرح فيه القصائد التى يعبر فيها شعراء الزنج عن عصبيتهم وشعوبيتهم، ومن ذلك شرح الجاحظ لأبيات الحقطان^(١٣).

وشرح الجاحظ لأبيات الحقطان وسنيح الشاعرين اللذين ينتميان لأصول حبشية فى الفخر بقومهما وهجومهما على العرب تعليله أن الجاحظ أراد أن يوضح ما فى شعرهما من ذكر رموز وحوادث يرى ضرورة شرحها حتى لا يستعصى على القارئ فهمها، إلى جانب أن الشعبوية الزنجية لم تتعدد فى عصره فيها المؤلفات من قبل من ينتمون إليها - خلاف الشعبوية الفارسية - وقد رأى أن يبسط أبعاد هجومها على العرب بشرحه لهذه القصائد؛ حتى يتسنى له ولأمثاله من حماة العروبة مواجهتهم ورد اتهاماتهم للعرب، إن لم يكن فى هذا الكتاب الذى كتب بلسانهم ، ففى كتب أخرى.

وبعد أن ذكر الجاحظ قصيدتي الحيقطان وسنيح وشرحهما وأبرز ما فيهما من شعوبية يعلو صوتها في قصيدة الحيقطان، ويظهر هذا الصوت كالمستخفي في قصيدة سنيح - ولكنه استخفاء لا يخفى على أهل النظر^(١٤)، - بعد هذا يذكر الجاحظ حجاً أخرى يستند إليها سودان الزنج في ادعائهم أنهم أفضل الأجناس وخير الناس، ومن ذلك: "قالوا: ونحن قد ملكنا بلاد العرب من لدن الحبشة إلى مكة، وجرت أحكامنا في ذلك أجمع وهزمنا ذا نواس، وقتلنا أقيال حمير وأنتم (*) لم تملكوا بلادنا"^(١٥).

وها نحن نرى أن الحبش يستندون في تفضيلهم أنفسهم على العرب بصفحة التاريخ في العصر الجاهلي، ومقارنه أحوالهم بأحوال العرب وقتها - شأن الشعوبية الفارسية - وقد فات شعوبي الحبش كما فات غيرهم من الشعوبيات وقتئذ أن العرب في الجاهلية لم يكونوا أمة مجتمعة تحت حكومة واحدة، وقد كانوا في مستوى بعيد عن الحضارة والعمران؛ ولذا لا يصح مقارنة حالهم في الجاهلية بحال الأمم التي وصلت إلى درجة من الحضارة وتكوين الدولة بهيئاتها السياسية والعسكرية والاجتماعية.

ويعرض الجاحظ اتهاماً آخر للعرب من قبل الشعوبية الزنجية، وهو يتعلق بمسألة نكاح أبناء الزنج من نساء العرب، فيقول الجاحظ: "وقد قالت الزنج للعرب: من جهلكم أنكم رأيتمونا لكم أكفاء في الجاهلية في نسائكم، فلما جاء عدل الإسلام رأيتم ذلك فاسداً، وما بنا الرغبة عنكم مع أن البادية منّا ملأى ممن قد تزوج ورأس وساد، ومنع الزمار، وكَنَفَكُم العدو"^(١٦).

ولا شك أن اعتراض الزنج هنا في رفض كثير من العرب بعد الإسلام أن يزوجوا بناتهم وأخواتهم من أبناء الزنج - له ما يبرره، فالإسلام قد سوى بين كل الناس، وجعل أفضل الناس أتقاهم لا أعزهم نسباً وأكثرهم

(*) يقصد العرب.

حسبًا، ولا شك أن عصر بنى أمية الذى فجرّ العصبية والعنصريات كان من نتائجه مثل هذه الانحرافات عن نهج الإسلام ، مما أعطى للعناصر التى كان يتكون منها المجتمع الإسلامى وقتذاك الحافز لإظهار شعوبيتها على العرب، والإسلام أيضًا.

ويستمر الجاحظ فى عرض حجج الزنج فى زعمهم بأنهم أفضل من العرب، فيقول بلسانهم موجهين كلامهم للعرب: "وقد ضربتم بنا الأمثال وعظمت أمر ملوكنا، وقدمتموهم فى كثير من المواضع على ملوككم ، ولو لم تروا الفضل لنا فى ذلك عليكم لما فعلتم" (١٧).

ولاشك أن الجاحظ يقصد بهذا ما جاء فى الشعر العربى من ذكر ملوك الحبش وشجاعتهم وبطولتهم.

وتتوالى فى هذا الكتاب الحجج التى يذكرها الجاحظ على لسان السودان لإظهار مفاخرهم التى يتباهون بها على سائر الأمم ومنها العرب. ولعل من خير ما جاء فى هذا الكتاب فى الدفاع عن الزنج ما ذكره الجاحظ على لسانهم فى تعليلهم لنفي تهمة الغباء والجهل عنهم التى وصفوا بها كثيرًا ظلمًا وعدوانًا. إلى جانب دفاعهم عن أنفسهم فى أنهم لم يصبهم السواد تشويهاً أو مسخاً أو عقوبة، ولكنه أصابهم بسبب البيئة التى يعيشون فيها وعوامل المناخ والقرب من الشمس، وما دام الأمر كذلك فلا يجب تغييرهم بهذا السواد (١٨).

ولو أن حجج السودان كلها كانت من هذا القبيل الأخير الذى ذكرناه لما أنكر عليهم هذا أحد، أو اتهمهم بالشعبوية، ولكن مزجهم هذه الحجج الإيجابية بالاتهامات للعرب والمفاخرة عليهم يثبت تورطهم فى الشعبوية فى ذلك العصر، وقد جمع الجاحظ فى كتابه عنهم هذين الجانبين: جانب ما يحتجون به من مزايا وفضائل، وجانب ما يرمون به العرب من مثالب؛ ليكون وصفاً صادقاً لمجالات نشاط الزنج المختلفة فى عصره، ذلك النشاط

الذى ما لبث أن انفجر على هيئة ثورة هى ثورة الزنج التى أتعبت الدولة العباسية كثيراً حتى قضت الدولة العباسية عليها.

الشعبوية الفارسية

إذا ما كانت الشعبوية الزنجية تمثل أول ظهور للعناصر الشعبوية فى الأمة الإسلامية^(١٩)، فإن الشعبوية الفارسية هى أقوى شعبوية ظهرت فى العالم الإسلامى^(٢٠)، من حيث كثرة عدد المنتمين إليها والعاملين على تصعيدها فى كل المجالات السياسية والدينية والاجتماعية والأدبية. إلى جانب أن آثارها فى المجتمع كانت واضحة، ونشاط المنتمين إليها كان ملموساً، ولعل السبب فى هذا يعود إلى ما كان للفرس من ملك سابق "أورثهم مطامع وآمالاً، ولعظم سلطانهم بنصرتهم العباسيين، ولأن مكان الاصطدام وهو العراق كان قريباً منهم، مزدحمًا بهم، متأثراً بنفوذهم قبل الإسلام وبعده"^(٢١)، إلى جانب أن الفرس لم يعهدوا قبل فتح العرب لبلادهم أن يخضعوا لغيرهم من الأمم، مما جعل إحساسهم بملك العرب لهم ولبلادهم ينقلب إلى مظاهر حقد مكتوم، ثم انفجر من خلال بركان شعوبيتهم ضد العرب^(٢٢)، يضاف لهذا أن الشعبوية الفارسية كانت تستمد سمومها من الأديان القومية التى كانت للفرس وهى الزرادشتية والمزدكية والمانوية، وبذلك امتزج هجوم دعائها بالتهجم على العرب وعلى الدين الإسلامى معاً^(٢٣).

وبسبب هذا الخطر الكبير الذى كانت تمثلته الشعبوية الفارسية فإن الجاحظ قد وقف لها بالمرصاد فى كل الميادين والمجالات التى حاولت فيها أن تطعن فى العرب والإسلام، وأخذت حصون الشعبوية تسقط حصناً بعد آخر مع مواجهه الجاحظ لها ودحضه لمزاعمها حتى انتصر للعروبة والإسلام، وأصبح ما بقى من صفحاته فى مواجهه الشعبوية لسان بيان لما

تعرضت له الأمة في هذه الأعصر المجيدة من محن، ولكن رجالاً كالجاحظ
ثَبَّتُوا أعمدة ملكها ونهضتها ، وكانوا للحاقدين عليها سوط عذاب.

على أن الجاحظ مع هجومه الشديد على الشعوبية الفارسية لم ينس ما
للفرس من أفضال ومزايا ، وهو يذكر هذه الأفضال والمزايا حين يبتعد شبح
الشعوبية الفارسية^(٢٤)، ومن ذلك قوله: "فهؤلاء ملوك فارس نزلوا على
شاطئ الدجلة، من دون الصراة (*) إلى فوق بغداد، في القصور والبساتين،
وكانوا أصحاب نظر وفكر، واستخراج واستنباط من لدن أزدشير بن بابك
إلى فيروز بن يزدجرد" ^(٢٥).

مواجهة الجاحظ لتيار الشعوبية الفارسي في كتاب العصا

كانت أكبر معارك الجاحظ التي خاضها ضد الشعوبية الفارسية
- فيما يظن - تلك التي دارت حول العصا في الجزء الثالث من كتاب البيان
والتبيين ، وقد جر الحديث عن العصا ذكر كثير مما انتقصته الشعوبية من
عادات العرب في الخطابة والحرب ، وحاولت أن تستخدم هذه الاتهامات
حول العصا وسيلة للبطش بهم وبعاداتهم ، ولكن الجاحظ استطاع أن يبرئ
ساحة العرب من كل اتهامات الشعوبية ويجعل العصا في الوقت نفسه أداة
لتأديبهم جزاء وفقاً لما مزجوه بها من اتهامات للعرب .

ونجده في الجزء الأول يشير لنيته في تناول هذا الموضوع ، وذلك
في قوله: "وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب في خطبها المخرصة والقناة
والقضيبي، والانتكاء على القوس، والحد في الأرض، والإشارة بالقضيبي،
بكلام مستكره سنذكره في الجزء الثاني إن شاء الله" ^(٢٦).

(*) هما نهران ببغداد.

كما يصرح فى الجزء الثانى من الكتاب بأنه راغب فى تناول الموضوع، ولكن انشغاله بذكر كلام النبى ﷺ والصحابه والتابعين^(٢٧) يجعله يؤجله إلى الجزء الثالث.

ويبدأ الجاحظ مع أول صفحة فى الجزء الثالث فى عرض طعنات الشعوبية على العرب المتعلقة بالعصا، والقضايا التى يجادل الجاحظ فيها الشعوبية هنا مهما تعددت فهى فى النهاية - على حد قول الدكتور سعيد منصور: - " قضية العصا .. انحرفت بها الشعوبية عن استخدامها فى الخطابة إلى استخدامها فى القتال ، ثم سارت فى طريقها بكل ما رأته متصلاً بها من مطاعن، مما واجهه الجاحظ بردوده"^(٢٨).

والشعوبية فى هجومها على العصا فى كل المجالات التى ربطت هجومها على العرب بها، لم تقصد من ذلك إلا أصحاب العصا أنفسهم^(٢٩).
وجدل الجاحظ مع الشعوبية حول العصا يرى أنه مر خلال ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى يذكر فيها طعنات الشعوبية فى العرب المتعلقة بالعصا ، وفى المرحلة الثانية يرد على هذه الهجمات ، ثم ينتهى من ذلك إلى المرحلة الثالثة وتمثل الهجوم على الشعوبية فى عقر دارها وهدم أصولها التى تستند إليها^(٣٠).

وفى المرحلة الأولى يذكر الجاحظ مطاعن الشعوبية على العرب فى حمل العصا عند ألوان الفنون القولية المتعددة لهم ، والتي يمكن إرجاعها إلى أصليين هما الخطابة والشعر، يقول الجاحظ فى ذلك: " نبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلى باسم التسوية وبمطاعنهم على خطباء العرب: بأخذ المخرصة عند مناقلة الكلام ومساجلة الخصوم بالموزون المقفى والمنثور الذى لم يقف، وبالأرجاز عند المتح، وعند مجاثاة الخصم، وساعة المشاورة، وفى نفس المجادلة والمحاورة. وكذلك الأسجاع عند المناظرة

والمنافرة، واستعمال المنثور فى خطب الحمالة وفى مقامات الصلح وسل
السخيمة، والقول عند المعاقدة والمعاهدة ، وترك اللفظ يجرى على سجيته
وعلى سلامته، حتى يخرج على غير صنعة ولا اجتلاب تأليف ولا التماس
قافية، ولا تكلف لوزن^(٣١).

ولا يخفى أن الجاحظ مع عرضه لاتهم الشعوبية للعرب فى الفقرة
السابقة فى اعتمادهم على العصا عند خطابتهم وإشادهم الشعر - قد أراد أن
يظهر فى الوقت نفسه فنون العرب القولية المتعددة، فى الشعر والخطابة،
وهذا التنوع والغزارة فيها يدل ابتداء على تفوقهم فى مجال البلاغة والخطابة
والشعر، فهذه الأمة التى لم تترك موقفاً فى حياتها إلا وقرنته بفن من فنون
الخطابة أو الشعر، هى أمة بليغة بلاشك، فهم يخطبون عند مساجلة الخصوم،
ويرتجزون عند المتح من الآبار، ويسجعون فى المفارقات والمنافرات، كما
يستخدمون الخطابة للصلح بين المتخاصمين، وعند عقد المعاهدات، مع توفر
البلاغة والارتجال فى كل هذه الفنون القولية.

وبهذا العرض القوى من الجاحظ لفنون العرب القولية يصبح المتهم
عليهم أحق لا ينظر لهذا التفوق وذلك النبوغ، ولكنه لا يشغله إلا العصا،
يقول: " قالت الشعوبية ومن يتعصب للعجمية القضيب للإيقاع، والقناة للبقار،
والعصا للقتال، والقوس للرمى.

وليس بين الكلام وبين العصا سبب، ولا بينه وبين القوس نسب،
وهما إلى أن يشغلا العقل ويصرفا الخواطر، ويعترضاً على الذهن أشبه،
وليس فى حملهما ما يشحذ الذهن، ولا فى الإشارة بهما ما يجلب اللفظ. وقد
زعم أصحاب الغناء أن المغنى إذا ضرب على غنائه قصر عن المغنى الذى
لا يضرب على غنائه. وحمل العصا بأخلاق الفدّادين أشبه، وهو بجفاء
العرب وعنجهية أهل البدو ، ومزاولة إقامة الإبل على الطرق أشكل وبه
أشبهه^(٣٢).

ولا يخفى من الفقرة السابقة كيف أن الشعوبية تأبى إلا أن ترد العرب دائماً إلى الجزيرة التي جاءوا منها، وإلى حياة البادية التي كانوا يعيشونها قبل الفتوحات الإسلامية، وهذه العودة هنا من خلال وصفها للعرب بأنهم مازالوا على الرغم من تحضر البلدان التي يعيشون فيها يصطحبون عاداتهم التي رافقتهم في جاهليتهم وصحرائهم، فهم بذلك يتأبون على الحضارة، ولا يعرفون إلا حياة البادية والصحراء، فأولى بهم لذلك أن يعودوا للصحراء التي جاءوا منها ويتركوا المدن لمن يعرف أصول التحضر والعمران.

وبالها من حجج قوية وسموم خبيثة يسوقها الجاحظ على لسان الشعوبية في اعتراضهم على استخدام العرب العصا والقوس خلال خطابتهم، وهذا العرض القوي من الجاحظ لحجج الشعوبية سببه أن الجاحظ يريد أن يفرغ كل ما عندهم من حجج وأدلة "دفعاً منه لموقعهم إلى مراكز القوة والطعن حتى تستنفد طاقتهم - قبل أن يقف إزاءها شداً وجذباً حتى يصل بها إلى حد الاستنزاف"^(٣٣).

وبعد أن سخرت الشعوبية من استخدام العرب العصا والقوس عند خطابتهم تأخذ في التهوين من شأن خطابة العرب، من خلال ذكر أن الأمم كلها تعرف الخطابة حتى الزنج المشهورين بالغباوة وغلظ الحس عندهم خطابة، وبذلك لا يصبح للعرب أى ميزة فى هذا الأمر الذى ساوتهم الأمم كلها فيه، بل إن الفرس فى رأى الشعوبية هم أخطب الناس، يقول الجاحظ فى ذلك: "قالوا: والخطابة شئ فى جميع الأمم، وبكل الأجيال إليه أعظم الحاجة، حتى إن الزنج مع الغثارة، ومع فرط الغباوة، ومع كلال الحد وغلظ الحس وفساد المزاج، لتطيل الخطب، وتفوق فى ذلك جميع العجم، وإن كانت معانيها أجفى وأغلظ، وألفاظها أخطر وأجهل. وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس، وأخطب الفرس أهل فارس، وأعذبهم كلاماً وأسهلهم مخرجاً

وأحسنهم دلاً وأشدهم فيه تحكماً، أهل مرو، وأفصحهم بالفارسية الدرية، وباللغة الفهلوية، أهل قصبه الأهواز. فأما نغمة الهرايضة ولغة والموابضة، فلصاحب تفسير الزمزمة^(٣٤).

ولم ينس شعوبيو الفرس أن يمزجوا تمكنهم فى الخطابة بأديانهم المجوسية من خلال ذكر القائمين بها من هرايضة وموابضة الذين كانت لهم طريقة خاصة فى الكلام والتعبير.

ولا يخفى أن هذا الربط بين تيار الشعوبية وتيار المجوسية يدل على أن المصعب لكليهما هو الزندقة.

وبعد أن قلل الشعوبيون من شأن خطابة العرب، ورفعوا من قدر خطابة الفرس يجدون أنفسهم قد ثبتوا أقدامهم بشكل قوى على أرض المعركة، فيذكرون المؤلفات الفارسية التى ينصح بها لمن يحب أن يبلغ فى صناعة البلاغة، كما ينصحون من يرغب فى قراءة الكتب التى تنمى العقل، وفيها علم بالمراتب والعبر والمثالات بالرجوع إلى كتبهم الفارسية. ولكن هذه الكتب ليست سوى كتابين، أما الكتاب الأول الذى ينصح به لطالب البلاغة فهو كتاب كاروند، وأما الكتاب الثانى الذى ينصح به للراغب فى معرفة العبر والمثالات فهو كتاب سير الملوك.

وتنتهى الشعوبية من كل ذلك إلى هذه النتيجة: "فمن قرأ هذه الكتب، وعرف غور تلك العقول، وغرائب تلك الحكم، عرف أين البيان والبلاغة، وأين تكاملت تلك الصناعة، فكيف سقط على جميع الأمم من المعروفين بتدقيق المعانى، وتخير الألفاظ وتمييز الأمور، أن يشيروا بالقناة والعصى، والقضبان والقسى. كلا ولكنكم كنتم رعاة بين الإبل والغنم فحملتم القنا فى الحضر بفضل عادتكم لحملها فى السفر، وحملتوها فى المدر بفضل عادتكم لحملها فى الوبر، وحملتوها فى السلم بفضل عادتكم لحملها فى الحرب،

ولطول اعتيادكم لمخاطبة الإبل، جفا كلامكم، وغلظت مخارج أصواتكم ، حتى كأنكم إذا كلمتم الجلساء إنما تخاطبون الصمان" (٣٥) .

وتعود الشعوبية للعصا مرة أخرى لتُصعدَ من دائرة الاتهامات ، وتتضح أكثر نوازع كراهيتهم للعرب ، فيرددون نغمتهم المفضلة في جرأة بأن العرب ليسوا إلا بدوًا لا يعرفون لغة التحضر ولا أساليب العمران، وما زالت الصحراء وقيمها هي التي تحرك تصرفاتهم (٣٦).

وتطعن الشعوبية في أدوات القتال عند العرب في الجاهلية كرماحهم التي كانت من مُرَّان، وأسنتهم التي كانت من قرون البقر، كما تطعن في ركوبهم الخيل في الحرب أعراء، وأنهم لم يعرفوا الركاب، وكذلك يطعنونهم بأنهم لم يعرفوا المطارد وهي الرماح القصيرة التي يستخدمها الفرسان على خيولهم (٣٧).

كما يذكر الجاحظ مآخذ الشعوبية على العرب في طريقة استخدام القنا خلال القتال (٣٨)، ويعيبون عليهم أنهم يتساندون في الحرب، مع العلم أن الشركة مرفوضة في ثلاثة أشياء: في الملك والحرب والزوجة (٣٩).

ثم يُتهم العرب بأنهم لا يعرفون القتال في الليل، ولا يعرفون الكمين ولا تقسيمات الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب وجناح وساقة وطليلة، ولا وسائل القتال المتقدمة وقتذاك كالمجانيق والدبابات والخنادق (٤٠).

ويتهمونهم بأنهم ليس لهم صاحب علم يرجع إليه المنحاز ويتذكره المنهزم، وأن قتالهم إما سلة وإما مزاحفة. والمزاحفة على مواعد متقدمة، والسلة مسارقة وفي طريق الاستلاب والخلصة (٤١).

ويكرر الشعوبيون اتهامهم للعرب بأنهم لم يكونوا يقاتلون بالليل ، ويأتون هذه المرة بالشواهد الشعرية على ذلك (٤٢).

وهنا يكون هجوم الشعوبية على العرب قد بلغ غايته، وتكون بذلك المرحلة الأولى وهي مرحلة الهجوم والتهجم من الشعوبية على العرب قد

استنفدت وسائلها، ولم تعجز حجة إلا ذكرتها، ولا سندًا من شعر أو خبر إلا أيدت به أقوالها.

ولولا أن الجاحظ هو المتصدى للشعبوية في موقعة العصا تلك لذهب بنا الظن إلى أن مثل هذه الاتهامات يصعب الرد عليها و تنفيذها ، ولكن لأن الجاحظ هو المتصدى لهم فإننا نتوقع منه كما رفعهم وأعلى حججهم وأيدهم - كعادته حين عرضه لأدلة الخصوم - بحجج من عنده، أن يغير على كل ما بناه لهم فيهدمه، ويضع على آثاره صروح الحق والحقيقة.

وقد بدأ الجاحظ مرحلة الرد على هذه المطاعن الشعبية، بذكره لمعارف العرب العسكرية وأدواتها القتالية التي كانت تعرفها في الجاهلية مستشهدًا بالشعر الجاهلي على ذلك، ومؤكدًا بهذا أن اتهام الشعبية للعرب في وسائل قتالهم وأدواتهم القتالية اتهام يفتقر إلى الدليل القوي؛ لأن الأدلة القوية تقف في صفهم وتؤكد معرفتهم لكثير من فنون القتال وأدواته منذ العصر الجاهلي. كما خالف الجاحظ الترتيب المنطقي للمسائل المطروحة، وبدأ الرد على اتهامات الشعبيين للعرب في أدوات قتالهم ووسائلهم في القتال لرؤيتهم الاستفزازية للعرب في الموقف الحربي^(٤٣).

يقول الجاحظ مدافعًا عن العرب "قلنا: ليس فيما ذكرتم من هذه الأشعار دليل على أن العرب لا تقاتل بالليل. وقد يقاتل بالليل والنهار من تحول دون ماله المدن وهول الليل. وربما تحاجز الفريقان، وإن كل واحد منهم يرى البيات، ويرى أن يقاتل إذا بيتوه وهذا كثير. والدليل على أنهم كانوا يقاتلون بالليل قول سعد بن مالك في قتل كعب بن مزريقا الملك الغساني:

وليلةٌ تبَّعَ وخَمِيسٌ كَعَب	أتونا بعد ما نمنا دبَّيبا
فلم نُهَدِّدْ لِبَاسَهُمْ وَلَكِنْ	ركبنا حدَّ كوكبهم رُكوبًا
بضربٍ يُفَلِّقُ الهَامَاتُ مِنْهُ	وطعنٍ يفصل الحَلَقَ الصَّلْبِيَا" ^(٤٤)

والجاحظ يرد على الشعوبية اتهامها فى عدم قتال العرب بالليل من خلال رميهم بعدم فهم مرامى الشعر العربى؛ لأنهم عموماً أحكامهم على عدم قتال العرب بالليل على هذه الأبيات التى استشهدوا بها فحسب، فى حين أن هناك أبياتاً شعرية أخرى كثيرة تدل على أنهم كانوا يقاتلون بالليل، وهى مما لم ينتبه الشعوبيون إليه أو عرفوها وأنكروها ليلبغوا مأربهم فى الاتهام والتشويه للعرب .

ثم يذكر الجاحظ بعض عادات العرب فى القتال وأدوات قتالهم وأساليب القتال عندهم، بما يدل على أن مواهبهم فى القتال وقدراتهم فيه لا تساويها إلا بلاغتهم فى فنون القول كالخطابة والشعر. وفى الوقت نفسه يدل ذكر الجاحظ لهذه الأدوات، وهذه الأساليب على تمكنه فى معرفة وسائل القتال وأدواته، وقد اكتسب هذه الخبرة من المعاينة إلى جانب السماع والقراءة، فهو قد شارك فى بعض الجيوش مرافقاً لقادتها^(٤٥).

ويستمر الجاحظ فى ذكر دفاعه حول اتهامات الشعوبية للعرب فى أدوات قتالهم ووسائلهم فى القتال، ويطول المقام وحق له أن يطول ويحتوى على الأدلة من الشعر والحديث والخبر إفاًحاً لهذه الشعوبية، ولدعاتها فيقول: "وكانوا إذا أجمعوا للحرب دخنوا بالنهار وأوقدوا بالليل"^(٤٦)، ثم يذكر الشواهد الشعرية على ذلك^(٤٧)، ثم يذكر أنهم كانوا يعرفون الكمين مستدلاً على ذلك بالشواهد الشعرية أيضاً^(٤٨).

ويرد على اتهام الشعوبية بعدم معرفة العرب للركب بقوله: "وأما ذكرهم للركب فقد أجمعوا على أن الركب كانت قديمة، إلا أن ركب الحديد لم تكن فى العرب إلا فى أيام الأزارقة. وكانت العرب لا تعود أنفسها إذا أرادت الركوب أن تضع أرجلها فى الركب، إنما كانت تنزوا^(٤٩)، وقد قال عمر بن الخطاب: "اقطعوا الركب، وانزوا على الخيل نزوا"^(٥٠).

وهكذا نرى كيف جعل الجاحظ عدم كثرة استعمال العرب للركب مما يعد فى فنون شجاعتهم، وفروسيتهم، مستشهدًا بقول عمر بن الخطاب فى وصاياه للجنود المحاربين بعدم استعمالها لكونها تقيد الفارس وتحد من مهارته.

ثم يذكر الجاحظ أن العرب قد عرفوا أنواعًا مختلفة من الرماح خلاف اتهام الشعوبية لهم، ويذكر الجاحظ هذه الأنواع بلسان الخبير العسكرى، ومن قصر على الحرب معارفه^(٥١).

ويؤكد الجاحظ حججه على كفاءة العرب القتالية فى الجاهلية - وهى الحقبة التى يخلو للشعوبية أن يطعنوا فيها العرب - بذكره أن العرب أمة يكثر فيها الغارات والحروب ويكثر فيهم الطلب؛ ولذا اهتموا بالحرب وأدواتها، وظهرت معرفتهم بوسائلها وأدواتها فى شعرهم بما يرد طعن الطاعن عليهم والجاد لفضلهم.

وبعد أن يثبت الجاحظ للشعوبية بالأدلة والشواهد خطأ تصورهم لأسلحة العرب وأساليب قتالهم، يعود ليرد على اتهامهم الأول والأساسى فى كتاب العصا ألا وهو تصورهم أن العرب لا يتميزون بخطابتهم عن أى أمة من الأمم؛ لأن كل الأمم عندها خطابة، ثم إن الفرس يتفوقون على العرب فى الخطابة خاصة أهل خراسان وسكان مرو على وجه الخصوص.

ولما كان هجوم الشعوبية هنا ينصب على أمر يعتز به العرب؛ لذا جعل الجاحظ من عرضه لهجمات الشعوبية على الخطابة ورده عليها محور رده على الشعوبية، فى كتاب العصا من كتابه البيان والتبيين^(٥٢).

وفى سبيل إظهار تفرد العرب فى خطابتها على سائر الأمم، يذكر ما عند هذه الأمم من خطابة والشكل الخاص بها، ثم يذكر خطابة العرب على أنها صورة مختلفة عن خطابة سائر الأمم لاعتمادها على البديهة والارتجال.

يقول الجاحظ: "وجملة القول أننا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس. فأما الهند فإنما لهم معانٍ مدونة، وكتب مخلدة، لا تضاف إلى رجل معروف، ولا إلى عالم موصوف؟ وإنما هي كتب متوارثة ، وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة.

ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق ، وكان صاحب المنطق نفسه بكى اللسان، غير موصوف بالبيان، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله معانيه، وبخصائصه. وهم يزعمون أن جالينوس كان أنطق الناس، ولم يذكروه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة ، وفي الفرس خطباء، إلا أن كل كلام للفرس ، وكل معنى للعجم ، فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهد رأى ، وطول خلوة ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكير ودراسة الكتب ، وحكاية الثانى علم الأول ، وزيادة الثالث فى علم الثانى ، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم" (٥٣).

هكذا حكم الجاحظ على خطابة الأمم فى عصره ، قبل أن يذكر ما تميز به العرب عليها فى خطابتهم ذات الصبغة الارتجالية.

ويشعرنا هذا الاستقصاء من الجاحظ فى الحكم على خطابة الأمم المشهورة فى عصره باجتهاده فى التعرف على طرق امتلاك هذه الأمم للخطابة، ووسائل التعبير الأخرى التى يستخدمونها ليعبروا عن أفكارهم ومشاعرهم.

ونشعر من عبارات الجاحظ السابقة أن الأمر معه لم يعد يقتصر على محاولة رد افتراءات الشعوبية على العرب ، بل لقد أراد أن يغزو العدو فى معاقله مما يعنى أنه قد دخل فى المرحلة الثالثة من جدله مع الشعوبية ، وها هو ذا ينقد خطابة الفرس ، ويرى أنها نتيجة طول الفكر والاجتهاد ، وحفظ الثانى علم الأول ودراسة الكتب؛ أى إنها بلاغة فيها من السماع والحفظ أكثر

مما فيها من الابتكار، كما أن كتبهم التي وصلتنا ليس بمستبعد أن يكون قد ألفها بعض أبنائهم كسهل بن هارون، وابن المقفع ونسبوا لها لهم^(٥٤).

أما خطابة العرب فلها صفة الارتجال التي تجعل كل خطبة فيها كأنها وليدة الساعة، وبنت وقتها، يقول: "وكل شيء للعرب فإنما هو بديهية وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجاله فكر ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر، أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة والمناقلة، أو عند صراع في حرب، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، و إلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالاً، وتتثال عليه الألفاظ انثيالاً، ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه أحدًا من ولده، وكانوا أميين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلفون، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر، وله أظهر، وكل واحد في نفسه أنطق، ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم للكلام أوجد، والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ، ويحتاجوا إلى تدارس، وليس هم كمن حفظ علم غيره، واحتذى على كلام من كان قبله، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم، والتمح بصدورهم، واتصل بعقولهم، من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب، وإن شيئاً هذا الذي في أيدينا جزء منه، لبالمقدار الذي لا يعلمه إلا من أحاط بقطر السحاب وعدد التراب، وهو الذي يحيط بما كان، والعالم بما سيكون"^(٥٥).

وبذلك فقد كان تمكن العرب في الارتجال من أسبابه تلك الأمية التي كانوا فيها، و لكن الأمية وحدها ما كانت لتجعل العرب بهذه الطبيعة الارتجالية الفريدة بين الأمم لو لم يكن الله قد وهبهم تلك الموهبة في قوة البديهية وسرعة الخاطر، وامتلاك ناصية البلاغة. ولكل هذا استحقوا أن تأتيهم المعجزة القرآنية التي أدركوا بما لديهم من مواهب بلاغية أنها تفوق

قدرات البشر، وخضعوا لها وآمنوا بها ، فحق لكل الأمم أن تخضع لها بخضوعهم؛ لأنهم فوق كل الأمم بلاغة وخطابة^(٥٦).

ويؤكد الجاحظ في أكثر من مناسبة على أن الكلام موهبة العرب الكبرى، وأنه اتفق لهم في هذا ما لم يتفق لسائر الأمم، فقد "فاض بيانهم، وجاشت به صدورهم، وغلبتهم قوتهم عليه عند أنفسهم، حتى قالوا في الحيات والعقارب، والذباب والكلاب، والخنافس والجعلان، والحمير والحمام ، وكل ما دب ودرج، ولاح لعين، وخطر على قلب.

ولهم بعد أصناف النظم، وضروب التآليف، كالقصيد والرجز، والمزدوج ، والمجانس، والأسجاع، والمنثور"^(٥٧).

وإذن لا نعجب عندما تحفل أسواق العرب في الجاهلية والإسلام بالمنافسات بين الشعراء والمنافسات بين الخطباء، وأن يشجع النبي ﷺ على مثل هذه المنافسات والمسابقات ما لم يداخلها ذكر ما حرمه الله^(٥٨).

وطبيعة العرب في الارتجال شعراً ونثراً لم يكن الجاحظ أول من ذكرها؛ لأنها حقيقة يذكرها عنهم كل منصف لهم مدرك لفنون مواهبهم^(٥٩).

ولكن يحسب للجاحظ أنه كان أول من وضع خصائص هذه الموهبة الارتجالية، وذكر تفرد العرب بها دون الأمم كلها^(٦٠).

ويستطيع كل منكر لهذه البلاغة الارتجالية التي أوتيها العرب دون سائر الأمم أن يتحقق من صدق هذه الدعوى بأن يدخل إلى أرض الأعراب الخُصّ والفصاحة التامة ليرى بعينه ويسمع بأذنيه تلك الحقيقة، يقول الجاحظ في ذلك: "وأخرى: أنك متى أخذت بيد الشعوبى فأدخلته بلاد الأعراب الخُصّ، ومعدن الفصاحة التامة، ووقفته، شاعر مفلق، أو خطيب مصقع، علم أن الذى قلت هو الحق، وأبصر الشاهد عياناً. فهذا فرق ما بيننا وبينهم"^(٦١).

وإذا كان الجاحظ يرى أن طبيعة العرب هي الارتجال في فنون البلاغة، فإنه يرى أن الإعداد والتنسيق للخطب والشعر لم يكن بعيداً أيضاً عن طائفة منهم، ولكن يقتصر هذا الأمر على سكان الحضر والمدن منهم وعلى الأمم التي أخذت اللغة عنهم ، واستبدلوها بلغاتهم الأصلية^(٦٢)، أما سكان البوادي - وهم ممثلو العرب في نقائهم وفطرتهم الأولى - فكانوا مطبوعين على الارتجال والبداهة وسرعة الخاطر .

وبعد أن اطمأن الجاحظ إلى أن دائرة الصراع أصبحت داخل معاقل الشعوبية ، واطمأن أيضاً إلى حسم الأمر لصالح الخطابة العربية على حساب خطابة الأمم الأخرى - خاصة الفرس - نراه يعود للعصا مرة أخرى، ولكن العودة إليها هذه المرة ليس لإثبات تهم جديدة على العرب من قبل الشعوبية كما كان الأمر في مرحلة الصراع الأولى ، ولكن ذكرها هذه المرة من أجل تعداد فضائلها ومزاياها التي تعادل في الوقت نفسه فضائل العرب ومزاياهم؛ لأنهم يأخذونها علامة لهم وسيما تخصصهم دون سائر الأمم . ولهذا الارتباط الوثيق الذي أصبح بين العصا والعرب يكثر الجاحظ من عرض الشواهد المختلفة من قرآن كريم وحديث شريف، وشعر وخبر وقصص وأمثال على فوائد العصا وفضلها .

كما يستشهد الجاحظ بالأنبياء الذين ذكرهم الله في قرآنه واتخذوا عصياً لهم يحملونها في سائر أحوالهم كسليمان وموسى عليهما السلام، يقول الجاحظ: "والدليل على أن أخذ العصا مأخوذ من أصل كريم، ومعدن شريف، ومن المواضع التي لا يعيبها إلا جاهل، ولا يعترض عليها إلا معاند، اتخذ سليمان بن داود عليه السلام العصا لخطبته، وموعظته، ولمقاماته، وطول صلاته، ولطول التلاوة والانتصاب ، فجعلها لتلك الخصال جامعة.

قال الله عز وجل وقوله الحق: ﴿ فَلَمَّا فَصَيَّنَا عَلَيْهِ أَلَمَّوَتْ مَا دَهَمَهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ^ط فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ آَلِحُنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ أَلْمَهِينَ ﴾ (*) والمنسأة هي العصا^(٦٣).

ويذكر الجاحظ للقارئ سبب بدئه في ذكر مزايا العصا باستخدام النبي سليمان لها بقوله: "وإنما بدأنا بذكر سليمان ﷺ لأنه من أبناء العجم، والشعوبية إليهم أميل، وعلى فضائلهم أحرص، ولما أعطاهم الله أكثر وصفاً وذكرًا"^(٦٤).

ولما كان الأمر كذلك يذكر الجاحظ نبياً آخر من أنبياء العجم، كانت للعصا معه معجزات كثيرة لا ينكرها أحد منهم، هو موسى عليه السلام، فيذكر الجاحظ الآيات القرآنية التي ذكرت ما ارتبط بعصاه من معجزات وأحداث كبرى كان لها وقع مؤثر في التاريخ^(٦٥).

ثم يذكر الجاحظ بعض قصص وأمثال وأبيات شعر للعرب ترتبط بالعصا^(٦٦)، وينتهي من كل هذا الاستقصاء إلى هذه النتيجة التي تقم الشعوبيين الذين يسخرون من العصا ويهونون من شأنها حين حمل العرب لها ساعة خطابتهم إذ يقول: "فإذا كانت العصا صحيحة ففيها من المنافع الكبار والمرافق الأوساط والصغار ما لا يحصيه أحد، وإن فرقت ففيها مثل الذي ذكرنا وأكثر. فأى شئ يبلغ في المرفق والرد مبلغ العصا.

وفى قول موسى: "ولى فيها مآرب أخرى" دليل على كثرة المرافق فيها، لأنه لم يقل: "ولى فيها مأربة أخرى" والمآرب كثيرة والذي ذكرنا قبل هذا داخل في تلك المآرب"^(٦٧).

على أن الجاحظ لا يكفيه ما ذكره من شواهد وأدلة على فوائد العصا ومنافعها وكثرة تصرفها في فنون الشعر والخطب والأمثال والقصص، فيذكر جملة أخرى من تلك الفوائد والمنافع ووجوه تصرفها المختلفة في فنون الأدب والحكمة^(٦٨)، ثم يعلق على كل هذا الكم الممتع والبليغ من الشواهد المختلفة التي ذكرت فيها العصا بقوله : " انظر - أبقاك الله - في كم فن تصرف فيه ذكر العصا من أبواب المنافع والمرافق ، وفي كم وجه صرفته الشعراء وضرب به المثل، ونحن لو تركنا الاحتجاج لمخاصر البلغاء، وعصى الخطباء، لم نجد بدءاً من الاحتجاج لجلة المرسلين، وكبار النبيين، لأن الشعبية طعنت في جملة هذا المذهب على قضيب النبي ﷺ وعزته، وعلى عصاه ومخصرته، وعلى عصا موسى" (٦٩).

وإذا كان الجاحظ قد وصل بالعصا إلى أن أصبحت قطباً كبيراً يتجمع حولها كل عجيب وطريف من أدب وفن وحكمة ، وحق لها بهذا القدر السنّي الذي بلغته - أو بلّغها الجاحظ إياه - ألا تعباً بناقد أو ناقد من قدرها. إذا كان الجاحظ قد وصل بالعصا إلى كل هذا فكان لابد له من أن يوجه نقده لهؤلاء الشعبويين الذين جهلوا حقائق علم الاجتماع ، وطبائع الشعوب واختلاف البيئات، وتأثيرها بما تفرضه من قوانين^(٧٠). يقول الجاحظ في ذلك: "ولو علم القوم أخلاق كل ملة، وزى أهل كل لغة، وعللهم في ذلك واحتجاجهم له، لقل شغبهم، وكفونا مؤونتهم. هذه الرهبان تتخذ العصي من غير سقم ولا نقصان في جراحة. ولابد للجاثليق من قناع ومن مظلة وبرطلة ومن عكاز ومن عصا ، من غير أن يكون الداعي إلى ذلك كبيراً ولا عجزاً في الخلقة.

وما زال المطيل القيام بالموعظة أو القراءة أو التلاوة يتخذ العصا عند طول القيام، ويتوكأ عليها عند المشي كأن ذلك زائد في التكهل والزماتة، وفي نفى السخف والخفة.

وبالناس حفظك الله أعظم الحاجة إلى أن يكون لكل جنس منهم سيما ولكل صنف منهم حلية وسمعة يتعارفون بها" (٧١).

الأمر إذن هو مسألة جهل من الشعوبية فى معرفة عادات كل أمة، وعدم صدق معاينة منهم لما يدور حولهم ، فهذه الرهبان تتخذ العصى ، ولابد للجائليق من قناع ومظلة وبرطلة ومن عكاز ومن عصا، فما بال الشعوبية ترى كل هذا فى عادات الرهبان وغيرهم من الناس ثم تستنكر على العرب استخدام العصا حين قيامها بالخطابة والموعظة، ولها فيها معانٍ فى نفى السخف والخفة وزيادة فى التكهل والزماتة.

ويعطى الجاحظ أمثلة أخرى كثيرة على سيما الناس وعاداتهم عند أداء مناسك عباداتهم، وفى أحوال حياتهم المختلفة، ويوضح اختلاف الأمم بعضها عن بعض فى هذه العادات (٧٢)، حسب ما يتوارثونه عن الأجداد ، وما يُرى بينهم منها نتيجة جريان الحوادث فيهم والنوازل بهم.

وبعد أن يقدم الجاحظ هذه الأمثلة والدلائل على عادات الأمم وسيماهم يعود للعصا ليقول: "وأيضاً إن حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة، والتهيؤ للإطباب والإطالة، وذلك شىء خاص فى خطباء العرب، ومقصود عليهم، ومنسوب إليهم حتى إنهم ليذهبون فى حوائجهم والمخاصر بأيديهم، إلفاً لها وتوقعاً لبعض ما يوجب حملها، والإشارة بها. وعلى ذلك المعنى أشار النساء بالمآلى وهن قيام فى المناحات ، وعلى ذلك المثال ضربن الصدور بالنعال.

وإنما يكون العجز والذلة فى دخول الخل والنقص على الجوارح ، أما الزيادة فيها فالصواب فيه" (٧٣).

ونشر كأننا أمام قياس منطقي تقول إحدى مقدمتيه لكل الأمم والشعوب عادات تميزها عن بعضها البعض، والمقدمة الأخرى تقول العرب

أيضاً لهم عادات بما أنهم شعب من شعوب العالم، ومن عادات العرب استخدامهم العصا حين خطابتهم وإنشادهم .

وتكون نتيجة هذا القياس: إن استخدام العرب العصا عند الخطابة بما أنها عادة من عاداتهم، فهي إحدى عادات أمة من بين الإنسانية، ويجب توقيرها ووضعها ضمن ظروفها شأن باقي عادات الأمم وتقاليدها.

على أن هذه العصا هي عند العرب بمثابة رمز يشير لمعان كثيرة قد جهلتها الشعوبية أو تجاهلتها، وراحت تطعن من يستخدمها عن جهل وسوء تقدير .

على أن ما جعل الشعوبية تتجاهل قوانين الله في أرضه، وعاداته في خلقه، واختلاف كل أمة عن أمة ناتج عن حقدها على العرب، هذا الحقد الذي فجر تيار الشعوبية، وقربها من الزندقة ببغضها للدين الذي جاء به العرب لهداية الإنسانية كلها ، يقول الجاحظ في ذلك: "ثم اعلم أنك لم تر قومًا قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكاً لعرضه، ولا أطول نصباً، ولا أقل غنماً من أهل هذه النحلة، وقد شفى الصدر منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم، وغليان تلك المراحل الفائرة، وتسعر تلك النيران المضطربة. ولو عرفوا أخلاق أهل كل ملة، وزى أهل كل لغة وعللهم، على اختلاف شاراتهم وآلاتهم ، وشمائلهم وهيئاتهم ، وما علة كل شئ من ذلك، ولم اجتلبوه ولم تكلفوه، لأراحوا أنفسهم، ولخفت مؤونتهم على من خالطهم" (٧٤).

وما كان لهذا الحقد الدائم الفوران فيهم من العرب لكونهم فتحوا بلادهم وملكوا أرضهم أن يهدأ أو تتطفئ ناره وينقطع فورانه لأن مبعثه الحسد، والحسد كما يقول الجاحظ: "داء ينهك الجسد، ويفسد الود، علاجه عسر، وصاحبه ضجر، وهو باب غامض وأمر متعذر، وما ظهر منه فلا يداوى، وما بطن منه فمداويه في عناء" (٧٥).

فليمت إذن هؤلاء الشعوبيون بغیظهم، ولینخر هذا الحسد فی نفوسهم، ولتستمر عصا الجاحظ تطیح بما تجیش به نفوسهم وتأباه النفوس الکریمة والعقول الصحیحة، هذه العصا التی وقفت لهم بالمرصاد وسدت علیهم مداخل القول ومخارجه، وكان للجاحظ معها إطالة هی لیست کل ما عنده من قوة، ولكنها بهذا الحد کافیة لإخراص هذا الفریق الشعبوی، وإن عادوا عاد لهم ومعه قوى أخرى وعصا جدیدة، یقول الجاحظ: "وأما العصا فلو شئت أن أشغل مجلسی كله بخصالها لفعلت"^(٧٦).

وهكذا رأینا الجاحظ یواجه الشعبویة الفارسیة فی کتاب العصا، و یبطل مزاعمها ویرد اتهاماتها، ثم لا ینتفی بهذا، وإنما یُغیر علیها فی معاقلها ویوجه سهام النقد لها، و یبرر جوانب التفوق عند العرب فی الخطابة وفنون القتال ، ویخرج الجاحظ من هذه الموقعة منتصراً لصدق المرجعیة التی یعتمد علیها ، ولقوة الأدلة والحجج التی یستند لها.

وقد تعددت صولات الجاحظ مع الشعبویة الفارسیة علی وجه الخصوص، ودحض فی کل موقعة له معها افتراءاتهم، ولعل فیما ذکرناه من الکتب التی ألّفها الجاحظ حول الشعبویة ما یدل علی هذه الصولات المختلفة التی وقفها الجاحظ مع الشعبویة الفارسیة علی وجه الخصوص، وکیف أنه كان بالمرصاد لها فی کل دائرة من دوائر الصراع التی اشتعل الجدل فیها بین العرب والشعبویة.

الشعبویة النبطیة

یقصد بالنبط السامیون سكان العراق القدماء، ومنهم ملوک بابل^(٧٧)، وقد كان وجودهم متمثلاً فی بیئة العراق، وكانوا یتباهون بما كان لهم من حضارات قدیمة، كما تمثلت شعبویتهم فی افتخارهم بمعرفتهم للفلاحة وإجادتهم لها^(٧٨).

وقد كان ينظر إليهم من قبل العرب على أنهم من أقل الأمم والشعوب شأنًا؛ ولذلك يضرب المثل بهم في القلة والذلة بين الأمم، ومع هذا نجد من المتكلمين من يتعصب لهم على القرشيين عند اختيار الإمام، فقد زعم ضرار ابن عمرو "أن الإمامة تصلح في غير قریش، حتى إذا اجتمع قرشى ونبطی قدمنا النبطی؛ إذ هو أقل عددًا، وأضعف وسيلة فيمكننا خلعه إذا خالف الشريعة"^(٧٩).

والملاحظ أن قول ضرار في تقديم النبط على القرشيين في اختيار الإمام ليس معناه أفضليتهم عليهم وعلى غيرهم من الأمم، ولكن يفهم من كلامه عكس ذلك، فهو يرى أن أقل الأمم شأنًا أولى أن تكون الخلافة فيهم حتى يسهل عزل الخليفة إن أخطأ أو حدث منه تجاوزات.

وينسب المسعودي للجاحظ وثمame بن أشرس وضرار بن عمرو رأيًا غريبًا، فهو ينسب لهم أنهم يفضلون النبط على العرب، يقول المسعودي في ذلك: "وقد زعم جماعة من المتكلمين - منهم ضرار بن عمرو وثمame بن أشرس وعمرو بن بحر الجاحظ أن النبط خير من العرب، لأن من جعل الله تبارك وتعالى النبي ﷺ منهم لم يدع أكبر شرف في الدنيا إلا وقد أعطاهم إياه، ولا نعمة على من جعل الله تعالى النبي عليه السلام منهم أكبر من النبي ﷺ، ولا بلوى على من لم يجعل الله عز وجل النبي ﷺ منهم أكبر من خروج النبي ﷺ، إلا أنهم مع هذا كله لهم عند الله فضل ما بين النعمة والبلاء"^(٨٠).

ويُرد على الحجة السابقة القائلة بتفضيل النبط على العرب لكونهم قد ابتلوا بكون النبي ﷺ ليس منهم، وبسلب النبوة عنهم، بأن العرب يمكن أن يتباهوا ويقولوا: إن كون النبي منهم يعني اصطفاء الله لهم على سائر الأمم مما يعني تفضيلهم عليها كلها^(٨١).

ولسنا فى مجال تفضيل أمة على أمة؛ لأن الفضل يختلف من وقت لآخر فيها، أما ما نحب أن نناقشه هنا فهو مقدار صحة ما نسب للجاحظ فى تفضيله للنبط على العرب، وهو قول غريب لم ينسبه للجاحظ سوى المسعودى فى كتابه مروج الذهب.

وفى ذلك يقول د. شارل بللا: "وقد ندهش لقول المسعودى الذى تبناه بعده غولديهر، وفيه يدعى أن الجاحظ فضل النبطيين على العرب، ولا شك أن المقصود بذلك تفسير مغرض لرأى الجاحظ لم نجد فى آثاره ما يسوغه"^(٨٢).

وفى رأى أن الجاحظ المتعصب للعروبة لا يمكن أن يصدر عنه ما يشير إلى تفضيل أى أمة على العرب، ولكنه فيما يبدو قد ذكر أقوال ضرار ابن عمرو ومن يتبعه من الضرارية على أنها أفكار تشيع فى مجتمعه، وعرضها بأساليبه فى إبراز جوانب القوة فيها ليسهل الرد عليها بعد ذلك، فظن بعض الناس - ومنهم المسعودى - أن الجاحظ يقول بآراء الضرارية، كما ظنوا أيضاً لعرضه حجج العثمانية بقوة أن الجاحظ يميل إليها^(٨٣)، على أن الجاحظ قد نفى عن نفسه الميل إلى العثمانية أو الضرارية بقوله لهؤلاء الذين يسيئون فهم مقاصده من مؤلفاته فى الفرق والمذاهب: "وعبئى بحكاية قول العثمانية والضرارية، وأنت تسمعنى أقول فى أول كتابى: وقالت العثمانية والضرارية، كما سمعتنى أقول وقالت الرافضة والزيدية، فحكمت على بالنصب لحكايتى قول العثمانية، فهلا حكمت على بالتشيع لحكايتى قول الرافضة!! وهلا كنت عندك من الغالية لحكايتى حجج الغالية، كما كنت عندك من الناصبة لحكايتى قول الناصبة!!"^(٨٤).

ويؤكد الشهرستانى أن المعتزلة - وبالطبع منهم الجاحظ - لم يوافقوا ضرار بن عمرو فى تفضيله النبط على العرب، أو تفضيل اختيار الإمام منهم على اختياره من العرب^(٨٥).

نتائج الصراع الشعبى العربى كما رصده الجاحظ

أما عن نتائج الصراع الشعبى العربى كما رصده الجاحظ فنتلخص فيما أشار إليه الجاحظ مما صدر عن الشعبوية من مؤلفات وأشعار وأقوال تقدر فى العرب وتشكك فى صحة أنسابهم^(٨٦)، وتطعن فى مآكلهم وتهون من شأنها^(٨٧)، كما تطعن فى قيمهم الخليفة التى عرفوا بها^(٨٨).

إلى جانب ما صدر من شعرائها من شعر يتباهى بالموروث الفارسى والحبشى، ويقلل من شأن تاريخ العرب، كما يضاف لهذا ما أشار إليه الجاحظ من نشر شعراء الشعبوية لتيار من الشعر الماجن فى المجتمع لم يعرفه العرب الأوائل فى جزيرتهم^(٨٩).

كما لم يسلم نسب الجاحظ من هجمات الشعبوية، لكونه أكبر من دافع عن العروبة ضدها^(٩٠).

ولكن هجمات الشعبوية فى كل هذه الاتجاهات قد باءت بالفشل لوقوف الجاحظ وإخوانه من حماة العروبة والإسلام ضدها، وبقيت الجوانب الإيجابية لهذا الصراع شاهدة على تفوق الحق على الباطل وقهره له.

وكان من نتائج هذا الصراع أيضاً - كما صورته الجاحظ - جمع تراث العرب الشعرى والنثرى ليقف أمام اتهامات الشعبوية للعرب بالإفلاس الحضارى بين الأمم - كالطود الشامخ^(٩١)، ولعل المجموعات الكثيرة من الخطب والحكم والأمثال العربية المذكورة فى البيان والتبيين كانت من أجل هذا الغرض، وليقول لهم الجاحظ: هذا غيض من فيض هذه الأمة البليغة التى تشككون فى بلاغتها وخطابتها.

كما نتج أيضاً عن هذا الصراع إثبات الجاحظ أن "بيان العرب القديم يتحدى المعاصرة بالقدم .. فى حين يقف بيان الفرس القديم هزيل المعاصرة

يسقطه الزيف وتشجبه الشكوك" (٩٢)؛ لأن الجاحظ قد شكك فى مؤلفات الفرس، وقال إنها قد تكون حديثة التأليف ومنحولة على القدماء (٩٣).

كما يحسب من نتائج هذا الصراع نشاط حركة الترجمة عن الأمم المختلفة، وقد عملت هذه المؤلفات المترجمة على اتساع أفق المعرفة، ونشاط حركة الثقافة والعلم (٩٤).

وأيضاً كان من نتائج هذا الصراع ما أكده الجاحظ من وحدة أجناس الأمة الإسلامية، ومحاولته التوفيق بينها، فقد "كان الجاحظ أحد كبار المعبرين عن فكرة وحدة الأمة وتماسك عناصرها وأجناسها، والحفاظ على أصالتها العربية. لأن فكرة وحدة الأمة كانت من صميم رسالة الإسلام، ولأنها تتسجم مع فلسفته فى الإنسان، ولأنها كانت أساس فلسفة الخلافة فى الحكم، وعلى هذا كان الجاحظ فى معظم ما ألف فى مناقب الأقباط والقبائل والأسر وفضائل المدن يبحث عما يجمع ولا يفرق، ويحاول ألا يعطى قوماً فوق ما يستحقون، ولا يبخس قوماً شيئاً من حقهم" (٩٥).

والجاحظ نفسه يقول فى نبذ المفاخرة بالأنساب لأثرها فى نشوب الخلافات والعداوات: "واحذر خصلة رأيت الناس قد استهانوا بها، وضيعوا النظر فيها، مع اشتغالها على الفساد، وقدحها البغضاء فى القلوب، والعداوة بين الأوداء: المفاخرة بالأنساب؛ فإنه لم يغلط فيها عاقل، مع اجتماع الإنس جميعاً على الصورة وإقرارهم جميعاً بتفرق الأمور المحمودة والمذمومة من الجمال والدمامة واللؤم والكرم، والجبن والشجاعة، فى كل حين وانتقالهما من أمة إلى أمة، ووجود كل محمود ومذموم فى أهل كل جنس من الأدميين. وهذا غير مدفوع عند الجميع.

فلا تجعلن له من عقلك نصيباً، ولا من لسانك حظاً، تسلم بذلك على الناس أجمعين، مع السلامة فى الدين" (٩٦).

وفى رأى الجاحظ أن اختلاف أجناس الأمة الإسلامية ليس معناه أن يظل كل جنس معزولاً عن الآخر فيها، ولكنه رأى أن يتم هذا الانصهار عن طريق وحدة اللغة والدين فيها، كما حدث الائتلاف بين العدنانيين، والقحطانيين قديماً، فقد تعرّب العدنانيون ودخلوا داخل دائرة العرب، وكذلك على سائر الأجناس أن تجعل من دائرة الدين الإسلامى الذى ينتمون إليه واللغة العربية التى استبدلوها بلغاتهم الأصلية - طريقاً للائتلاف بينها وجسراً للوحدة القومية التى تشملهم جميعاً^(٩٧).

وأخيراً فقد كان من نتائج هذا الصراع انتصار الإسلام على الزندقة، وتمثل ذلك النصر فى هذه المؤلفات الكثيرة التى واجهتها، وكان من بينها مؤلفات الجاحظ التى أسكت فيها زعماءها، وأبطل حججهم، وأوضح لكل مبصر خواء فكرهم وسطحيته، وأزاح كل مزاعمهم حول القرآن الكريم والحديث الشريف^(٩٨).

- هوامش الفصل الثالث -

- (١) ضحى الإسلام، ٦٠/١ .
- (٢) الجاحظ حياته وآثاره ، ص ٢٤٢ .
- (٣) العصر العباسي الأول ، ص ٦٠٥ .
- (٤) النجوم الزاهرة، ٢٧/٣ .
- (٥) د. محمد توفيق حسين: مفهوم الإنسانية والعنصرية عند الجاحظ. بغداد، الموسوعة الصغيرة، دار الحرية للطباعة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ١٠٦-١٠٧ .
- (٦) د. على أبو ملح: مقدمة رسائل الجاحظ . الرسائل السياسية، ص ٥١ .
- (٧) رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون. رسالة مناقب الترك، ٢٩/١ .
- (٨) الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ص ٩٦، والعصر العباسي الثاني، ص ٦٠٥، ود . فوزى سعد عيسى: الترسل فى القرن الثالث الهجرى. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١م، ص ٦٩ .
- (٩) رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون. كتاب فخر السودان على البيضان، ١٨٢/١ - ١٨٣ .
- (١٠) المصدر السابق، ١٨٣/١ .
- (١١) المصدر السابق، ١٨٣/١ - ١٨٤ .
- (١٢) من هؤلاء الباحثين الدكتور خليل جفال فى كتابه: الشعبية والأدب أبعاد ومضمونات، ص ٣٦ .
- (١٣) رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون. كتاب فخر السودان على البيضان، ١٨٥/١ - ١٨٩ .
- (١٤) انظر قصيدة سنيح بن رباح وشرح الجاحظ لها فى رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . كتاب فخر السودان على البيضان، ١٩٠/١ - ١٩٢ .
- (١٥) المصدر السابق، ١٩٣/١ - ١٩٤ .
- (١٦) المصدر السابق، ١٩٧/١ .
- (١٧) المصدر السابق، ١٩٧/١ .
- (١٨) المصدر السابق، ٢١١/١ - ٢١٢، ٢١٩ .

- (١٩) فى حين يرى باحثون أن الشعوبية الفارسية هى أول الشعوبيات ظهوراً على مسرح الأحداث فى الأمة الإسلامية، ومن هؤلاء: إسماعيل العرفى: فى الشعوبية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٢١، ود. إبراهيم العدوى : المجتمع العربى ومناهضة الشعوبية، ص ١٧، ود طه الحاجري: مقال عن أبى عبيدة فى مجلة الكاتب المصرى، مجلد ٢، عدد ٦، مارس ١٩٤٦، ص ٢٧٧ .
- (٢٠) المناهى الفلسفية عند الجاحظ ، ص ٢٥ .
- (٢١) محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل. القاهرة، دار الفكر العربى، لا.ت، ص ٢٢٩ .
- (٢٢) العرب والتحدى ، ص ٦١ - ٦٣ .
- (٢٣) فى الشعوبية، ص ٢٥، والجذور التاريخية للشعوبية، ص ١١.
- (٢٤) د. إحسان عباس: ملامح يونانية فى الأدب العربى. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٧م، ص ٢٦، وبطرس البستاني : أدباء العرب فى الأعصر العباسية حياتهم وآثارهم، نقد آثارهم. بيروت ، دار الجيل، دار مارون عبود، ١٩٧٩م، ٢/ ٢٦٥ ، وأثين بلاسيوس: بحث عن الحيوان. نشره د. الطاهر أحمد مكى فى كتابه دراسة فى مصادر الأدب. القاهرة، دار المعارف، ط ٥، ١٩٨٠م، ص ١٣٣، ومفهوم الإنسانية والعنصرية فى أدب الجاحظ، ص ٨٥ - ٨٦.
- (٢٥) رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. من كتابه فى الوكلاء، ١٠٣/٤ - ١٠٤.
- (٢٦) البيان والتبيين، ٣٨٣/١ .
- (٢٧) المصدر السابق، ٥/٢ .
- (٢٨) النثر العربى فى مراحل تطوره ، ص ١٥٧ .
- (٢٩) المرجع السابق ، ص ١٥١ .
- (٣٠) البيان والتبيين، ٥/٣ - ١٢٤ .
- (٣١) المصدر السابق، ٥/٣ - ٦ .
- (٣٢) المصدر السابق، ١٢/٣ .
- (٣٣) النثر العربى فى مراحل تطوره ، ص ١٥٦ .
- (٣٤) البيان والتبيين، ١٣/٣ .
- (٣٥) المصدر السابق، ١٤/٣ .
- (٣٦) المصدر السابق، ١٥/٣ .

- (٣٧) المصدر السابق، ١٦/٣ .
- (٣٨) المصدر السابق، ١٧/٣ .
- (٣٩) المصدر السابق، ١٧/٣ .
- (٤٠) المصدر السابق، ١٧/٣ - ١٨ .
- (٤١) المصدر السابق، ١٨/٣ .
- (٤٢) المصدر السابق، ١٩/٣ .
- (٤٣) الجدل والقص في النثر العباسي، ص ٩٢ .
- (٤٤) البيان والتبيين، ١٩/٣ - ٢٠ .
- (٤٥) رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. رسالة مناقب الترك، ٦١/١ - ٦٢ ،
وحقائق الأزاهر ، ص ٢٥٩ .
- (٤٦) البيان والتبيين، ٣ / ٢٢ .
- (٤٧) المصدر السابق، ٢٢/٣ .
- (٤٨) المصدر السابق، ٢٣/٣ .
- (٤٩) المصدر السابق، ٢٣/٣ .
- (٥٠) المصدر السابق، ٢٤/٣ .
- (٥١) المصدر السابق، ٢٤/٣ .
- (٥٢) الجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٩٢ .
- (٥٣) البيان والتبيين، ٢٨/٣ .
- (٥٤) المصدر السابق، ٢٩/٣ .
- (٥٥) المصدر السابق، ٢٨/٣ - ٢٩ .
- (٥٦) رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. من كتابه في حجج النبوة، ٢٧٣/٣ -
٢٨٠ .
- (٥٧) المصدر السابق، ٣ / ٢٧٣ .
- (٥٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى. بيروت، دار صادر، لا.ت، ٢٩٤/١ .
- (٥٩) وصف ابن المقفع العرب بهذه الطبيعة الارتجالية في فنون بلاغتهم فقال: "أى
حكمة تكون أبلغ، أو أحسن أو أغرب، أو أعجب، من غلام بدوى لم ير ريفاً،
ولم يشبع من طعام، يستوحش من الكلام، ويفزع من البشر، ويأوى إلى القفر
واليرابيع والظباء، وقد خالط الغيلان، وأنس بالجان فإذا قال الشعر وصف ما لم

يره، ولم يغذ به ولم يعرفه، ثم يذكر محاسن الأخلاق ومساوئها، ويمدح ويهجو ويذم ويعاتب، ويشبب ويقول ما يكتب عنه، ويروى له، ويبقى عليه"، انظر: زهر الآداب، ٤٠٣/١.

(٦٠) د. وديعة طه النجم: الجاحظ والنقد الأدبي، ص ٥٠ ، وانظر اعتراض محمد أبو زهرة على هذا الرأي في كتابه: الخطابة أصولها وتاريخها في أزهي عصورها. القاهرة، دار الفكر العربي، لا.ت، ص ١٨٤، وكذلك إبراهيم سلامة في كتابه: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان دراسة تحليلية - نقدية - تقارنية. مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، ص ٧١، ود. علي أبو ملحم في كتابه: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ص ٢٠٦، ودكتور وليد قصاب في كتابه: التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري. الدوحة، دار الثقافة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٦٦. وكل هؤلاء الباحثين لم يقتنعوا بأن العرب وحدهم كانوا يمتلكون خاصية الارتجال في الخطابة دون سائر الأمم، بل شككوا في هذه الملكية لديهم. والحق أن ما نقله الجاحظ من بلاغة العرب في البيان والتبيين التي صدر أكثرها عن الارتجال يرد على اعتراض هؤلاء المعترضين، إلى جانب أن هذه الطبيعة في العرب توافرت لها عوامل مختلفة ذكرناها ولم تتوافر لغيرهم من الأمم وقتذاك، وقد توجد بعض الأمم التي يتوافر فيها عدد معين ممن عرفوا بسلامة الطبع، وقوة الارتجال، ولكن أن توجد أمة كلها مطبوعة على الارتجال فهذا مالم يتوافر لغير العرب، وهذا ما قصد الجاحظ إليه حين وصفهم بالارتجال دون سائر الأمم؛ ولذا فلا مسوغ لاعتراض من اعترض على قول الجاحظ بتفرد العرب بخصيصة الارتجال في بلاغتها دون سائر الأمم.

(٦١) البيان والتبيين، ٢٩/٣.

(٦٢) المصدر السابق، ٢٠٣/١.

(٦٣) المصدر السابق، ٣٠/٣.

(٦٤) المصدر السابق، ٣١/٣، وانظر اتفاق ابن قتيبة مع الجاحظ في هذا الرأي في

كتاب العرب أو الرد على الشعوبية ضمن كتاب رسائل البلغاء، ص ٣٥٤.

(٦٥) البيان والتبيين، ٣١/٣، ٣٢، ٣٥.

(٦٦) المصدر السابق، ٣٨/٣ - ٤٩.

- (٦٧) المصدر السابق، ٥٠/٣ .
- (٦٨) المصدر السابق، ٣٩/٣ - ٧٧ .
- (٦٩) المصدر السابق، ٨٩/٣، وانظر في وصف العصا التي كان يخطب النبي وهو متكئ عليها في الطبقات الكبرى لابن سعد، ١/ ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٣٧٧ .
- (٧٠) د. سعيد منصور : النثر العربي في مراحل تطوره ، ص ١٦٢ ، وانظر أيضًا د. محمد توفيق حسين: مفهوم الإنسانية والعنصرية في أدب الجاحظ ، ص ٧٨ - ٧٩ ، ومحمد أبو زهرة : الخطابة ، ص ٣٣ - ٣٤ .
- (٧١) البيان والتبيين، ٩٠/٣ .
- (٧٢) المصدر السابق، ٩٥/٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ .
- (٧٣) المصدر السابق، ١١٧/٣ .
- (٧٤) المصدر السابق، ٣٠/٣ .
- (٧٥) رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون. من كتابه في الحاسد والمحسود، ٣/ ٤ - ٣ .
- (٧٦) البيان والتبيين، ٤٤/٣ .
- ونحب أن نشير هنا أننا لو عقدنا مقارنة بين كتاب العصا للجاحظ وكتاب العصا لأسامة بن منقذ، لوجدنا كتاب العصا للجاحظ يشتمل على كل عناصر الفن والجدل والمنطق من أجل إفحام الشعوبية وهدم حصونها ، وليست المادة التي يستعين بها الجاحظ في هذا الكتاب من شواهد متنوعة من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والخبر والمثل إلا وسائل لتأييد قضيته، انظر في هذا: النثر العربي في مراحل تطوره، ص ١٤٧ - ١٤٨ .
- أما كتاب العصا لأسامة بن منقذ فهو على حد قول مؤلفه ليس إلا حشدًا للروايات والأشعار والأمثال، وغير ذلك من الشواهد دون أن يكون وراء كل هذا أي قضية من القضايا. انظر: أسامة بن منقذ: كتاب العصا. منشور ضمن نوازل المخطوطات. تحقيق عبد السلام هارون. بيروت، دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ٢٠٣/١، وبهذا يظهر الجاحظ على أنه كاتب متفرد بين كتاب العرب القدماء في معالجته لقضايا مجتمعه، وبثه الروح الحية في تلك النصوص التي ينقلها في كتبه.

- (٧٧) الجذور التاريخية للشعبوية ، ص ١١٨ .
- (٧٨) المرجع السابق، ص ١١٨ ، وديلاس أوليري: الفكر العربي ومكانه في التاريخ. ترجمة د. تمام حسان. مراجعة د. مصطفى حلمي. القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، لا.ت، ص ١١٧ .
- (٧٩) الشهرستاني: الملل والنحل. تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل. دار الفكر، لا.ت، ص ٩١، ولاحظ أن ابن خلدون يخالف ضاراً في أن الإمامة - في رأيه - يجب أن تكون في أقوى القبائل وأشدّها ليستقر أمر الأمة وتخضع باقي القبائل لها، المقدمة. الإسكندرية، دار ابن خلدون، لا.ت، ص ١٣٦ - ١٣٨ .
- (٨٠) مروج الذهب، ٥٣/٢ .
- (٨١) المصدر السابق، ٥٤/٢
- (٨٢) الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ص ٥١.
- (٨٣) مروج الذهب، ١٩٥/٤ .
- (٨٤) الحيوان، ١١/١ .
- (٨٥) الملل والنحل للشهرستاني، ص ٩١.
- (٨٦) انظر في هذا: رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. رسالة مناقب الترك، ٧٥/٣ ، وشرح نهج البلاغة، ٦٨/١١ - ٧١، والعقد الفريد، ٤١٢/٣ ، والجذور التاريخية للشعبوية، ص ٩١، والشعبوية والأدب أبعاد ومضمونات، ص ١٥٢، ولاحظ تعليق الجاحظ في قوله بأن العرب وحدهم هم الذين عنوا بحفظ الأنساب من بين الأمم في كتابه: البيان والتبيين، ١٨٨/١، ومع هذا فقد رفض المفاخرة بها على سبيل العصبية والتفاخر، انظر: العرب والتحدى ، ص ٧٤ - ٧٥ .
- (٨٧) تعرض الجاحظ لمطاعن الشعبوية على مآكل العرب وأطعمتهم ورد عليهم في المصادر الآتية: البخلاء، ص ٢١٣ - ٢٣٧ ، والحيوان، ١٦٠/٢، ورسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. من كتابه في الأوطان والبلدان، ١١٧/٤ .
- (٨٨) انظر في هذا: البخلاء، ص ٢١٨، ومقدمة البخلاء للدكتور طه الحاجري، ص ٢٨، والجذور التاريخية للشعبوية، ص ١١٠ - ١١١ .

- (٨٩) انظر في هذا: رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. كتاب مفاخرة الجوارى والغلمان، ١٠٥/٢، ١١٣-١١٥، والحيوان، ١٤٨/١، وثمار القلوب، ص ٥٥٣ - ٥٥٤، وتيارات ثقافية بين العرب والفرس، ٢٠٧، ٢٢٦، وول ديورانت: قصة الحضارة. ترجمة محمد بدران (عصر الإيمان). القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر. الجزء الثانى، المجلد الرابع، ص ١٣٦، والموشى، ص ١٧٠ - ١٧١، والنثر الفنى فى العصر العباسى الأول اتجاهاته وتطوره، ص ٤٠، وضى الإسلام، ص ١٩٣ - ١٩٤، وحديث الأربعاء، ٣٢/٢.
- (٩٠) د. عبد الفتاح على عفيفى الأسود: الجاحظ وأثره فى النقد الأدبى والنثر الفنى خلال النصف الأول من القرن العشرين، رسالة دكتوراة مخطوطة، نوقشت بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ٥٦.
- (٩١) الجاحظ فى البصرة وبغداد وسامراء، ص ١٨٩، والجذور التاريخية للشعوبية، ص ٩٥ - ٩٦.
- (٩٢) النثر العربى فى مراحل تطوره، ص ١٦١.
- (٩٣) البيان والتبيين، ٢٩/٣.
- (٩٤) الجاحظ فى البصرة وبغداد وسامراء، ص ٣٠٥، والنثر الفنى فى العصر العباسى الأول، ص ٣٦٧ - ٣٦٨.
- (٩٥) مفهوم الإنسانية والعنصرية عند الجاحظ، ص ١١.
- (٩٦) رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. رسالة المعاش والمعاد، ١٢٦/١.
- (٩٧) انظر فى هذا: البيان والتبيين، ٢٩١/٣ - ٢٩٢، والفكر السياسى عند المعتزلة، ص ٢٤١ - ٢٤٢، والجذور التاريخية للشعوبية، ص ١٠٣.
- (٩٨) انظر ردود الجاحظ على كثير من مسائل الزنادقة حول آيات من القرآن الكريم فى كثير من صفحات كتاب الحيوان على وجه الخصوص، كما أن هناك فصلاً كاملاً حول هذا الموضوع فى كتاب:



المصادر والمراجع

obeikandi.com

أولاً : المصادر

أسامة بن منقذ:

كتاب العصا. منشور ضمن نواذر المخطوطات. تحقيق عبد السلام محمد هارون. بيروت، دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

الإسفراييني:

التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين. عنى بعرضه وخرج أحاديثه وعلق حواشيه محمد زاهد بن الحسن الكوثري، وعنى بنشره وراجع أصله ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني. القاهرة، مطبعة الأنوار، ط ١، ١٩٤٠ م / ١٣٥٩ هـ.

الأصفهاني:

الأغانى. تحقيق نخبة من المحققين. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الألوسى البغدادي:

روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى. بيروت، دار إحياء التراث العربى، لا.ت.

البغدادي (أبو منصور عبد القاهر):

- الفرق بين الفرق. حققه محمد محيى الدين عبد الحميد. مكتبة دار التراث، لا.ت.

- الملل والنحل. حققه د. ألبير نصرى نادر. بيروت، دار المشرق، لا.ت.

البقاعى:

نظم الدرر فى تناسق الآيات والسور . تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي . بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

البیضاوی:

تفسیر البیضاوی المسمى أنوار التنزیل وأسرار التأویل. تحقیق الشیخ عبد القادر عرفات. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزیع، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.

ابن تغری بردی:

- مورد اللطافة فی من ولی السلطنة والخلافة. تحقیق ودراسة وتعلیق د. نبیل محمد عبد العزیز أحمد. القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٧ م.

- النجوم الزاهرة فی ملوك مصر والقاهرة. قدّم له وعلق علیه محمد حسین شمس الدین. بیروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.

الثعالبی:

ثمار القلوب فی المضاف والمنسوب. تحقیق محمد أبو الفضل إبراهیم. القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥ م.

الجاحظ:

- البخلاء. تحقیق د. طه الحاجر. القاهرة، دار المعارف، ط ٩، ١٩٩٠ م.
- البرصان والعرجان والعميان والحوالان. تحقیق عبد السلام محمد هارون. بیروت، دار الجیل، ط ١، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- البیان والتبيين. تحقیق عبد السلام محمد هارون. بیروت، دار الجیل، لا.ت.

- (كتاب منسوب إليه) - التاج فی أخلاق الملوك. تحقیق أحمد زکی باشا. ایران، فروردين، ط ١، ١٣٧٠ هـ.

- الحيوان. تحقیق عبد السلام محمد هارون. بیروت، دار الفكر، و دار الجیل، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

- رسائل الجاحظ. تحقیق عبد السلام محمد هارون. القاهرة، مكتبة الخانجي، لا.ت.

- رسائل الجاحظ. الرسائل السياسية. قدم لها وبوبها وشرحها د. على أبو ملحم . بيروت، دار مكتبة الهلال. ط ١، ١٩٨٧ م .

- رسالة في مناقب خلفاء بني العباس. تحقيق د. محمد محمود الدروبي. الكويت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الثانية والعشرون، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

- العثمانية. تحقيق عبد السلام محمد هارون. بيروت، دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١ م.

- فصول مختارة لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. حققها وقدم لها د. محمد محمود الدروبي. عمان، دار البشير، ط ١، ٢٠٠٢م.

ابن الجوزي:

زاد المسير في علم التفسير. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٨٧م.

ابن أبي الحديد:

شرح نهج البلاغة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ٢، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

الحصري القيرواني:

- جمع الجواهر في الملح والنوادر. حققه وطبعه وفصل أبوابه ووضع فهارسه على محمد البجاوي. بيروت، دار الجيل، ط ٢، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

- زهر الآداب وثمر الألباب. تحقيق على محمد البجاوي. القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، لا. ت.

أبو حيان (محمد بن يوسف):

البحر المحيط في التفسير. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

ابن خلدون:

مقدمة ابن خلدون. الإسكندرية، دار ابن خلدون، لا. ت.

الخوارزمي:

المناقب والمثالب. تحقيق إبراهيم صالح. دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

الدميري:

حياة الحيوان الكبرى. ملتمز الطبع والنشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٥، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

الزمخشري:

ربيع الأبرار ونصوص الأخبار. تحقيق عبد الأمير مهنا. بيروت، مؤسسة الأعلمي / ط ١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

ابن سعد:

الطبقات الكبرى. بيروت، دار صادر، لا. ت.

أبو السعود محمد بن العماوى:

تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. بيروت، دار إحياء التراث العربى، ط ٢، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.

السيوطي:

تاريخ الخلفاء. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. القاهرة، لا. ت.

الشنقيطي:

أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن. الرياض، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

الشهرستاني:

الملل والنحل. تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل. دار الفكر، لا. ت.

الصفدى:

الوافى بالوفيات. تحقيق نخبة من المحققين. الناشر دار فرانز شتاينر بفسبادن.

الطبرى:

- تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ، دار المعارف ، ط ٤ ، ١٩٧٩ م .
- تفسير الطبرى، جامع البيان عن تأويل آى القرآن. القاهرة. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط ٣، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.

أبو الطيب عبد الواحد بن على النغوى الحلبي:

مراتب النحويين. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، مكتبة نهضة مصر ومطبتها، لا. ت.

ابن عاصم الأندلسي:

حدائق الأزاهر. تحقيق د. عفيف عبد الرحمن. بيروت، دار المسيرة، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

ابن عبد ربه:

العقد الفريد. تحقيق أحمد أمين وآخرين. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

عبد الرحيم بن أحمد العباسي:

معاهد التصحيح على شواهد التلخيص. حققه وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد. القاهرة مطبعة السعادة، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م.

عبد القاهر الجرجاني:

الرسالة الشافية فى وجوه الإعجاز، المنشورة مع دلائل الإعجاز. تحقيق محمود محمد شاكر. القاهرة، الخانجي.

عبد الكريم النهشلى:

اختيار الممتع فى علم الشعر وعمله. تحقيق د. محمود شاكر القطان.
القاهرة، دار المعارف، ط ١، ١٩٨٣ م .

أبو عبيدة معمر بن المثنى:

- العققة والبررة. منشور ضمن كتاب: نواذر المخطوطات. تحقيق وتقديم
عبد السلام محمد هارون. بيروت، دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١ م.
مجاز القرآن. تحقيق د. محمد فؤاد سزكين. القاهرة، مكتبة الخانجي،
لا.ت.

ابن قتيبة:

- العرب أو الرد على الشعوبية، كتاب منشور ضمن كتاب رسائل البلغاء.
جمع وتحقيق محمد كرد على. القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر، ط ٣، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦ م.
- عيون الأخبار. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م.

القرطبي:

تفسير القرطبي. دار الريان للتراث.

المرتضى (الشريف):

أمالى المرتضى. غرر الفوائد ودرر القلائد . تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبي وشركاه .

المسعودى:

- مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.
بيروت، المكتبة الإسلامية، لا.ت.

المطهر بن طاهر المقدسى:

البدء والتاريخ. اعتنى بنشره وترجمته كلمان هوار. طبعة بايز، ١٨٩٩ م.

ابن منظور:

لسان العرب. تحقيق عبد الله على الكبير، و محمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي. القاهرة، دار المعارف، لا.ت.

ابن النديم:

- الفهرست. تحقيق رضا تجدد. بيروت، دار المسيرة ، ط ٣، ١٩٨٨م.

- الفهرست. بيروت، دار المعرفة ، لا.ت.

ياقوت الحموى:

معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تحقيق د. إحسان عباس. بيروت، دار الغرب الإسلامى، ط ١، ١٩٩٣م.

ثانياً: المراجع

إبراهيم أحمد العدوى (دكتور):

المجتمع العربى ومناهضة الشعبوية. القاهرة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بالفجالة، ١٩٦١م.

إبراهيم سلامة (دكتور):

بلاغة أرسطو بين العرب واليونان دراسة تحليلية - نقدية - تقارنية. مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٢، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م .

أثين بلاسيوس:

بحث عن الحيوان. نشره د. الطاهر أحمد مكى فى كتابه: دراسة فى مصادر الأدب. القاهرة، دار المعارف، ط ٥، ١٩٨٠م.

إحسان عباس (دكتور):

- ملامح يونانية فى الأدب العربى. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٩٣م.

أحمد أمين:

ضحى الإسلام. القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ط١٠. لا.ت.

أحمد محمد الحوفى (دكتور):

- تيارات ثقافية بين العرب والفرس. القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط٣، لا.ت.

- الجاحظ. من سلسلة دراسات فى الإسلام. العدد ٣٨ السنة الرابعة، ١٥ من جمادى الأولى ١٣٨٤هـ، ٢١ من سبتمبر ١٩٦٤م. يصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مطابع شركة الإعلانات الشرقية.

إسماعيل العرفى:

فى الشعبية. ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

بطرس البستانى:

أدباء العرب فى الأعصر العباسية، حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم. بيروت، دار الجيل، دار مارون عبود، ١٩٧٩ م.

جميل جبر (دكتور):

- الجاحظ فى حياته وأدبه وفكره. بيروت، دار الكتب اللبنانية للطباعة والنشر، ١٩٦٨م.

- الجاحظ ومجتمع عصره. بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٨م.

حسن إبراهيم حسن:

تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى (العصر العباسى الأول). مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٤٨م.

حسن السندوبى:

أدب الجاحظ. القاهرة، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣١م.

حنا الفاخورى (الأب):

- تاريخ الأدب العربى. المطبعة البولسية، لا. ت.
- الجاحظ. القاهرة، دار المعارف ، ط٦، سلسلة نوابغ الفكر العربى، ١٩٨٠م.

خليل جفال (دكتور):

- الشعبوية والأدب أبعاد ومضمونات. بيروت، دار النضال، ط١، ١٩٨٦م.

ديلاس أوليرى:

- الفكر العربى ومكانه فى التاريخ. ترجمة د. تمام حسان. مراجعة د. مصطفى حلمى. القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، لا. ت.

زاهية قدورة (دكتور):

- الشعبوية وأثرها الاجتماعى والسياسى فى الحياة الإسلامية فى العصر العباسى الأول. بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ط١، ١٩٧٢م.

سعيد حسين منصور (دكتور):

- دراسات فى النثر العربى. الإسكندرية، ١٩٨٥م.
- النثر العربى فى مراحل تطوره حتى نهاية القرن الثالث الهجرى. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

سميرة مختار الليثى:

- الزندقة والشعبوية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨م .

شارل بللا (دكتور):

- الجاحظ فى البصرة وبغداد وسامراء. ترجمة د. إبراهيم الكيلانى. دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦١م.

شفيق جبرى (دكتور):

الجاحظ معلم العقل و الأدب، دار المعارف بمصر، لا.ت.

شوقى ضيف (دكتور):

- العصر العباسى الأول. القاهرة، دار المعارف، ط٦.

- العصر العباسى الثانى. القاهرة، دار المعارف، ط٢٦، ١٩٨٦م.

- الفن ومذاهبه فى النثر العربى. القاهرة، دار المعارف، ط١٠، ١٩٨٣م.

صموئيل عبد الشهيد:

الروح العلمية عند الجاحظ فى كتاب الحيوان. بيروت، دار الكتاب

اللبنانى، ط١، ١٩٧٥م.

طه الحاجرى (دكتور):

الجاحظ حياته وآثاره. القاهرة، دار المعارف، لا.ت.

طه حسين (دكتور):

-حديث الأربعاء. القاهرة، دار المعارف، ط١٥.

عبد الحكيم بلبع (دكتور):

- النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه. القاهرة، لجنة البيان العربى، مطبعة

الرسالة، ١٩٦٩م.

عبد السلام المسدى (دكتور):

قراءات مع الشابى والمتنبى والجاحظ وابن خلدون . دار سعاد الصباح،

١٩٩٣ م .

عبد العزيز الدورى:

الجزور التاريخية للشعبوية. بيروت، دار الطليعة، ط١، ١٩٦٢م.

عبد الله التطاوى (دكتور):

- الجدل والقص فى النثر العباسى. القاهرة ، كلية الآداب، جامعة القاهرة،

دار الثقافة والنشر والتوزيع، لا.ت.

- مستويات الحوار فى فنون النثر العباسى. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥م.

عبد المحسن عاطف سلام (دكتور):

الثورة البابكية وأثرها فى الأدب العربى. دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م.

على أبو ملحم (دكتور):

- الفلسفة مشكلات وحلول. بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر،

ط١، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.

- المناهى الفلسفية عند الجاحظ. بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر،

ط٢، ١٩٨٨م.

على شلق (دكتور):

أبو نواس بين التخطى والالتزام. بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات

والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م.

فاروق سعد (دكتور):

مع بخلاء الجاحظ. دراسة تحليلية مقارنة مع منتخبات. بيروت، منشورات

دار الآفاق الجديدة، ط٤، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.

فوزى سعد عيسى (دكتور):

الترسل فى القرن الثالث الهجرى. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،

١٩٩١م.

فوزى عطوى (دكتور):

الجاحظ دائرة معارف عصره. بيروت، ط١، ١٩٨٩م.

فيكتور شلحت اليسوعى (الأب):

النزعة الكلامية فى أسلوب الجاحظ. دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.

كارل بروكلمان:

تاريخ الأدب العربى. ترجمة نخبة من المحققين. القاهرة، دار المعارف.

كاظم حطيظ (دكتور):

مع ابن قتيبة في مسار الصراع العربي الشعبي. بيروت ، دار الهدى،
ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

محمد أبو زهرة:

- تاريخ الجدل. القاهرة، دار الفكر العربي، لا.ت.
- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية .
القاهرة، دار الفكر العربي، لا.ت.
- الخطابة، أصولها وتاريخها في أزهى عصورها. القاهرة، دار الفكر
العربي، لا. ت.

محمد بديع شريف (دكتور):

الصراع بين الموالى والعرب "وهو بحث في حركة الموالى ونتائجها
في الخلافة الشرقية". دار الكتاب العربي بمصر ، ١٩٥٤ م.

محمد توفيق حسين (دكتور):

مفهوم الإنسانية والعنصرية عند الجاحظ. بغداد، الموسوعة الصغيرة،
دار الحرية للطباعة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

محمد زغلول سلام (دكتور):

- دراسات في الأدب العربي، العصر العباسي. منشأة المعارف
بالإسكندرية، لا.ت.

محمد الطيب النجار:

الموالى في العصر الأموي. دار النيل للطباعة، ط ١، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م.

محمد عبد الغنى الشيخ (دكتور):

النثر الفنى فى العصر العباسى الأول اتجاهاته وتطوره. الدار العربية
للكتاب، ١٩٨٨ م.

محمد عبد المنعم خفاجى (دكتور):

- أبو عثمان الجاحظ. بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٩٧٣م.
- الأدب العربى وتاريخه فى العصرين الأموى والعباسى. بيروت، دار الجيل، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م.

محمد عمارة (دكتور):

- العرب والتحدى. كتاب الهلال، ديسمبر ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢م.

محمد كرد على:

- أمراء البيان. القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧م.

محمد مصطفى هدارة (دكتور):

- اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى. دار المعرفة الجامعية، لا.ت.

محمد نبيه حجاب (دكتور):

- الصراع الأدبى بين العرب والعجم. القاهرة، المكتبة الثقافية، سبتمبر ١٩٦٣ م.

- مظاهر الشعبية فى الأدب العربى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى . مكتبة نهضة مصر بالفضالة، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١م.

مصطفى الشكعة (دكتور):

- مناهج التأليف عند العلماء العرب، قسم الأدب. بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٢م.

مصطفى الصاوى الجوينى (دكتور):

- مدارس التفسير القرآنى. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م.

مونتغمري وات:

الفكر السياسى فى الإسلام والمفاهيم الأساسية. ترجمة صبحى حيدى.
بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لا.ت.

ميشال عاصى (دكتور):

مفاهيم الجمالية والنقد فى أدب الجاحظ. بيروت، مؤسسة نوفل، ط٢،
١٩٨١م.

نجاح محسن (دكتور):

الفكر السياسى عند المعتزلة. القاهرة، دار المعارف.

نكلسن:

تاريخ الأدب العباسى. ترجمة صفاء خلوصى. بغداد، المكتبة الأهلية.

هاملتون جب:

دراسات فى حضارة الإسلام. ترجمة د. إحسان عباس، و د. محمد يوسف
نجم، و د. محمد زيدان. دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٧٩م.

وديعة طه النجم (دكتور):

- الجاحظ والحاضرة العباسية. بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٥م.
- الجاحظ والنقد الأدبى. الكويت، حويلات كلية الآداب، الحولية العاشرة،
الرسالة التاسعة والخمسون، ١٤٠٩ - ١٤١٠هـ / ١٩٨٨ - ١٩٨٩م.

ول . ديورانت:

قصة الحضارة. ترجمة محمد بدران (عصر الإيمان). الجزء الثانى،
المجلد الرابع. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، لا.ت.

وليد قصاب (دكتور):

التراث النقدى والبلاغى للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجرى.
الدوحة، دار الثقافة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

ثالثاً : المجلات والدوريات والموسوعات

دائرة المعارف الإسلامية. النسخة العربية. إعداد وتحرير: إبراهيم زكى خورشيد، وأحمد الشنتناوى، وعبد الحميد يونس. كتاب الشعب، ط ٢، ١٩٦٩م.

ضياء الصديقى (دكتور):

فنية القصة فى كتاب البخلاء والجاحظ. عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الرابع، ١٩٩٠م.

طه الحاجرى (دكتور):

أبو عبيدة . مجلة الكاتب المصرى. مجلد ٢، عدد ٦، مارس ١٩٤٦ م .

رابعاً : الرسائل الجامعية المخطوطة

عبد الفتاح على عفيفى الأسود (دكتور):

الجاحظ وأثره فى النقد الأدبى والنثر الفنى خلال النصف الأول من القرن العشرين (رسالة دكتوراة مخطوطة). إشراف أ. د. عبد الحميد طه حميدة. نوقشت بقسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية. جامعة الأزهر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

على محمد السيد خليفة (دكتور):

- أدب الجاحظ فى صلتة بتيارات عصره السياسية. رسالة دكتوراة مخطوطة، نوقشت بقسم اللغة العربية، بكلية الآداب، بجامعة الإسكندرية، تحت إشراف الأستاذ الدكتور/سعيد حسين منصور، سنة ٢٠٠٤م.

- فن المناظرة حول الحيوان فى أدب الجاحظ.رسالة ماجستير مخطوطة.
إشراف أ. د. سعيد حسين منصور. نوقشت بقسم اللغة العربية بكلية
الآداب، بجامعة الإسكندرية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

خامساً : المراجع الأجنبية

DR . SAID H . MANSUR :

THE WORD – VIEW OF AL – JAHIZ IN K. AL – HAYAWAN
(ALEXANDRIA, DAR AL MAAREF, 76 – 1977) .

ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM NEW EDITION, LEIDEN, 1971 .